

روائع المسرح العالمي

٦

# المغربان

ترجمة

الدكتور محمد محمد القصاص

تأليف

هنري بيك

تقديم

الأستاذ عبد الرحمن صديقي

مراجعة

الدكتور محمود محمد قاسم

الجمهورية العربية المتحدة

وزارة الثقافة والإرشاد القومي

إدارة العامة للثقافة

# الغربان

*Les Corbeaux*

تأليف: هنري بيك

*Henri Becque*

ترجمة

الدكتور محمد محمد القصاص

مراجعة: الدكتور محمد محمد قاسم \* تقديم: الأستاذ عبد الرحمن صوفي



# مقدمة

« الغربان »

بين الواقعية والطبيعة

بقلم

الأستاذ عبد الرحمن صديقي

كان النصف الأول من القرن التاسع جياشاً بثورة الأدب الرومانتيكي — في حماسته للحرية وفورته الغنائية وشطحاته الخيالية الجائعة — على الأوضاع والقواعد المقررة المريعة عند أدهاء المدرسة الكلاسيكية . وفي طلائع هؤلاء الثاقبين نذكر الشاعر «فكتور هيجو» ومعركة هرناني الرومانتيكية ، كما نذكر ما كان عليه المسرح الرومانتيكي من براعة الممثلين والممثلات في الأداء الخلاب وما ازدانت به العروض من زخرف المناظر والدياب ، مع الإكثار من جموع النكرات المائلين فضلا عن الافتنان في حشد الخيل المسرحية ، وغير ذلك مما يهز المشاعر ويلهب الخيال . ونحن لا محالة نذكر إلى جانب ذلك — بعد أن تقدمت بنا السن ، وتوافر زادنا من العلم — كيف أننا حين نراجع مسرحيات «هيجو» العظيم نبتين ما وراء رنين ألفاظها من ضعف ثباتها على التأمل ، وقلة ما فيها من الحقيقة الإنسانية .

## غلبة الواقعية :

هذا الأدب الرومانتيكى لم تطل مدته - وبالأخص على خشبة المسرح - مع ما أثار من ضجة . وقد كان رد الفعل هو الانصراف عن الروح الخيالية الروائية وإيثار الواقع ، وقد ساعد على ظهور الواقعية فى الأدب منذ منتصف القرن التاسع عشر نشاط الحركة العلمية فى ذلك الحين ، فجعل أهل الأدب يراقبون العالم حولهم ويدرسونه ويحرصون على أن يأتى تصويرهم له دقيقاً صادقاً أميناً على قدر الاستطاعة ومن ثم جهدوا ألا يزيغ الخيال أبصارهم ويفسد الانفعال أحاسيسهم ، فجعلوا همهم النظر الموضوعى ومن ثم كان الأدب الواقعى أدباً موضوعياً لا يمت إلى شخص صاحبه ولا ينفعل به . وهذا الأدب لا يجعل الهدف من كتاباته القيمة الجمالية ، بل يقرن إليها قيمة الحقيقة الواقعية ، فهو ليس أدب تسلية ومتعة بل هو أدب متعة وفائدة . وقد كان من شأن نمو الاشتراكية بعد ثورة ١٨٤٨ أن زاد اهتمام الأدب بالواقع ومشكلات المجتمع وحياة الشعب . ونحن نذكر ما كان من ظهور القصصى « بلزاك » وتوجيه القصص وجهة الواقعية فى مجموعة قصصه المعروفة بالكوميديا البشرية ، بفضل قوة ملاحظته وتوفره على تدوين المعلومات عن المجتمع حوله ، وعرضه لتلك الحياة الاجتماعية بجميع تفصيلاتها وفى جملتها المعقدة المركبة من معنويات وماديات . ولقد كان فى أعقاب ظهور

القصص الواقعي أن ظهرت الواقعية على المسرح وتخلت  
الدراما الرومانتيكية عن مكانتها للدراما الواقعية . ومن ثم  
ظهرت على المسرح دراما العادات الخلقية في صورتها  
البورجوازية العصرية ، ومن أعلامها « اميل أوجيه »  
« Emile Augier » و « اسكندر ديماس الصغير » « Alexandre  
Dumas Fils » وقد اشتهر أولها بتصويره المجتمع مع الدفاع  
عن الأفكار المسلم بها في ذلك المجتمع البورجوازي حتى  
استحق المؤلف أن توصف مدرسته « بمدرسة العقل السليم » ،  
أما زميله فكان يعتمد في مسرحياته ذات الفكرة الهادفة إلى  
المخالفة أحياناً ، متخذاً من المسرح منبراً للدعاية لأفكاره ،  
جاريّاً على غير ما جرت عليه العادة من تملق العرف العام  
البورجوازي أو ترضيته على الأقل في الفصل الأخير . ولقد  
اشتهر من جاء بعده هذين فكتوريان ساردو « Victorien Sardou »  
بالمشاهد التاريخية يعرضها في براعة اصطناعية تذهلنا — مع  
مهر الممثلة الكبرى سارة برنار — عما هنالك من سطحية ، كما  
اشتهر من قبل هذين « لايبش » « Labiche » الذي يعتبر أستاذاً  
للفودفيل والكوميديا المرحّة بما اجتمع له من فيض المرح الذي  
كثيراً ما يمزجه بالفكرة السيكولوجية والعبرة الأخلاقية . وكل  
واحد من هؤلاء قد انتفع بما شاء من براعات « اسكريب  
« Scribe » في تعقيد العقدة المسرحية وحلها على نحو يشوق  
الجمهور .

## هزيمة فرنسا والأدب الطبيعي :

ولكنه منذ نهاية القرن الثامن عشر ، وخاصة منذ أواسط القرن التاسع عشر ، أخذت تتكاثر وتتتابع كشوف العلماء في مجاهل التاريخ الإنساني وأطواره ، كما نشطت حركة العلوم الطبيعية داعية إلى إحلال الدراسة المدققة للحقائق الواقعة محل التخيلات البراقة المحلقة . وقد بلغ من أثر هذه الروح العلمية أن دعا ليكون دي ليل « Leconte de Lisle » إلى الاستعانة بهذه العلوم لتجديد الشعر والفن .

بيد أن معاهد التعليم والجامعات العليا والكثرة من النقاد ظلت على عهد الوفاء لمناهج البلاغة وقواعد اللوق والجمال والاعتماد على الخيال ، إلى أن كانت في عام ١٨٧٠ هزيمة فرنسا في حرب السبعين أمام الألمان البروسيين وانهيار الامبراطورية الثانية بسقوط نابليون الثالث وقيام الجمهورية الثالثة مع ما يصاحب الهزيمة من الظروف الصعبة الأليمة ، عند ذلك راجع قادة الفكر الفرنسي أنفسهم وجعلوا يتدارسون أمرهم ، فبدأ لهم أن سر الهزيمة في ثقافتهم التي لا تعدل ثقافة الألمان .

وفي ذلك يقول بول بورجيه : « إذا كانت هنالك حقيقة جديرة بالتأمل والروية فهي أننا نحن الذين مهدنا لما نزل بنا من النكبات عام ١٨٧٠ بقصور مجهودنا الذهني » واستقر في أذهانهم أن الفضل في النصر كان للمعلم الألماني وللعلم الألماني .



ومن ذلك الحين ، أدخلت الروح العلمية على التعليم ،  
وغزا العلم الفلسفة ، وطفى المنهج العلمى على البحوث  
التاريخية كما هو ظاهر فى كتابات المؤرخ « Renan » ،  
وطفى على النقد الأدبى كما هو ظاهر فى كتابات الناقد  
الفيلسوف « تين » « Taine » ، وطفى على الأدب نفسه بظهور  
مذهب الطبيعة فى القصة ثم من بعدها على المسرح .

#### مصادر الأدب الطبيعى :

ومن الطبيعى وقد تأثرت الطبيعة فى القصة والمسرح بما  
كان يتشبع به جو تلك الحقبة من مباحث العلم ومذاهب  
الفلسفة العلمية أن نذكر منها ما كان له الأثر الأكبر :

أولاً : فلسفة « أوجست كونت » « Auguste Comte »  
الوضعية التى صرفت الأذهان عما وراء الطبيعة .

ثانياً : مذهب العالم الطبيعى الإنجليزى « داروين »  
« Darwin » فى أصل الأنواع وتأثير البيئة الطبيعية ، وفى تطور  
الأنواع عن طريق الانتخاب الطبيعى ، والتنازع على البقاء  
وبقاء الأصلىح ، فضلاً عن نظريته فى وراثة الطباع ، وهذا  
المذهب يودى إلى فكرة الجبرية الطبيعية . ويلاحظ أن التنويه  
هنا ببقاء الأصلىح لا يعنى الأفضل خلقياً ، بل الأصلىح لزمته  
وبيئته دون اعتبار للفكرة الأخلاقية .

وقد صدر كتاب « أصل الأنواع » أول ما صدر عام  
١٨٥٩ ، وظهرت بعد ثلاث سنوات ترجمته الفرنسية .

ثالثاً : مذهب « كلود برنار » « Claude Bernard » أستاذ  
 الفسيولوجيا في كلية فرنسا « الكوليج دى فرانس » ومؤلف  
 كتاب « مدخل للطب التجريبي » في عام ١٨٦٥ . ويدعو  
 منهجه إلى التحرر من رتبة الأفكار الفلسفية واللاهوتية ،  
 وعدم الاعتماد على غير الحقائق التي تقرها التجارب العلمية ،  
 مع التنبيه إلى أن العلم لا يقصد إلى تعليل الظواهر ، بل يقنع  
 بتقرير كيفية حصولها . وقد بلغ من الأثر المباشر لهذا الكتاب  
 على القصصى « اميل زولا » « Emile Zola » أن تناول الموضوع  
 في بعض كتاباته بعنوان « القصص التجريبي » في عام ١٨٨٠  
 رابعاً : منهج الناقد الفيلسوف « تين » « Taine » في اعتبار  
 كل ما يصدر عن الإنسان نتيجة لمؤثرات ثلاث هي :  
 الجنس والبيئة والآونة ، فإلى هذه المؤثرات مرد كل حال  
 من أحوال بنى الإنسان المعنوية الأولية كما هو وارد في مقدمة  
 كتابه « تاريخ الأدب الإنجليزى » الذى صدر في عام  
 ١٨٦٣ . وقبل هذا قال في كتابه عن الشاعر « لافونتين »  
 « La Fontaine » عام ١٨٥٣ : « إن الإنسان يمكن اعتباره  
 حيواناً من نوع راق تصدر عنه الفلسفات والأشعار كما  
 تصنع دودة القز خيوط الحرير ، وكما يصنع النحل خلية  
 العسل » . ومثل ذلك أيضاً القول بأن المخ يفرز الفكر كما  
 تفرز المرارة الصفراء ، « وأن الرذيلة والفضيلة منتجات كماء  
 النار والسكر » .

وحاصل هذه الفلسفة أن علم النفس ليس إلا باباً من أبواب علم وظائف الأعضاء ، وأن دراسة الشخصيات ليست إلا دراسة للأمزجة الطبيعية ، وأن الوسط الطبيعي الذى نعيش فيه يضغط من كل جانب على مصابرينا ، وأن تاريخ الأفراد وتاريخ الشعوب كليهما خاضعان لأشد أحكام الجبرية .

ولقد ظهر بعد ذلك عام ١٨٦٨ كتاب للدكتور «لتورنو» Dr. Letourneau «أسماه» «فسيولوجية العواطف» وهو — كما يدل عنوانه يتناول الخوارج النفسية على أنها ظواهر فسيولوجية ، وكان لهذا الكتاب عظيم الأثر فى «زولا» الذى كان كثير الرجوع إليه ، كما كان شأنه فى التأثير بـ «رسالة فلسفية وفسيولوجية فى الوراثة الطبيعية للدكتور لوكاس» وكلا المؤلفين لا يعدان من العلماء الثقاة والمراجع الموثوق بها .

خامساً : النتائج التى وصل إليها العالم الكيميائى «بيير برتلو» Pierre Berthelot «فى إنتاج مركبات عضوية عن طريق التركيبات الكيميائية ، وتصريحاته المتكررة بأن إمكانيات التركيب الكيميائى لا حد لها ، وأن تقدم الكيمياء كفيل بأن يصنع للإنسان قوته اليومى ، وأن يحقق للناس المساواة والإخاء أمام شريعة العمل المقدسة . وقد زادت هذه الكشوف وهذه التصريحات فى الإيمان بالعلم .

سادساً : شيوع فلسفة «شوبنهاور» Schopenhauer «

الألماني ، "وغلبة طابعها التشاؤمي على الرغم من التفاؤل بمستقبل العلم . وقد بدأت هذه الفلسفة تشيع في فرنسا منذ عام ١٨٦٠ ولم تَمْضِ عشرة أعوام حتى كان اسمه على كل لسان .  
و خلاصة القول بلغة القوم — أن العلم في ذلك العصر جعل يطرّد شيئاً فشيئاً الحُرّيات القديمة الميتافيزيقية والرؤى الدينية ، واحترام الماضي والإحبات له ، والأوهام العاطفية . وهذا العلم قد أعاد وضع الإنسان إلى منزلته الصغيرة من الكون في مستوى غيره من الحيوان أو الأحياء الأولية ، أما النفس والعقل والسبحات المثالية فأصبحت كلمات تفقد معناها — شيئاً فشيئاً — في نظام كوني منظم تنظيماً ميكانيكياً تتحرك فيه الكائنات مدفوعة محكومة بقوانينه الطبيعية الحتمية .  
الفارق بين الواقعية والطبيعية :

كانت الطبيعية في الأدب بمثابة الامتداد المنطقي والشوط النهائي لحركة الواقعية التي ثارت بدورها على الثورة الرومانتيكية . ولقد أطلق على الواقعية اسم الطبيعية حين بالغت في النزعة العلمية التي تقوم على المادية والحسية .  
وبين الواقعية والطبيعية فوارق في الكم والكيف : فإذا كانت الواقعية تقنع بالملاحظة والتعبير عما تركته الملاحظة في النفس من الانطباع الشخصي فإن الطبيعية في نشأتها للموضوعية تعمل على جمع شتى الأسانيد الصحيحة فضلاً عن إجراء التجارب العلمية .



ولإذا كانت الواقعية — في ملاحظتها لأفعال الناس والحكم عليها بنتائجها — لا تنكر الإرادة الإنسانية كلية ولا تقطع الصلة بالمذهب الروحي من سائر الوجوه — فإن الطبيعية تدين بالجبر الطبيعي الذي يترتب على القول بالخصلة المسيطرة على الكائن الحي مما لا يترك مجالاً للصراع الداخلي ، ومن ثم كان الغالب على الشخصيات أنها بسيطة في ذاتها غير مركبة ، أي أنها قطعة واحدة لا تختلف فيها الجملة عن التفصيل ، ولا يدخلها تغيير ولا تبديل بل تمضي قدماً إلى غايتها بحكم الجبر الطبيعي وهكذا يمتنع في الطبيعة التدليل والتعليل والحكم واستخلاص نتيجة ، أو الإيحاء بها . وهذا الشعور بالجبر الطبيعي من شأنه أن يولد في النفوس نزعة التشاؤم الفلسفي وبصرفها عن التفكير في العناية الإلهية والإيمان الديني والوجدان الروحي .

ولإذا كانت الواقعية لا تلتزم في عرضها للناس وتصرفاتهم تجاهل فكرة الخير والشر فإن الطبيعية تنتهج ما هو جار في التاريخ الطبيعي من استبعاد النظرة الأخلاقية .

ولإذا كانت الواقعية في اهتمامها بالواقع تتناول الشعب بالدراسة والتصوير والتحليل فإن الطبيعية في تناولها للطبقات الشعبية لا تبغى بذلك أن تظهر فضائل مغمورة أو تكشف عن جوانب شعرية مكنونة خفية ، بل همها الأكبر إظهار الغرائز في أغلظ صورها وأبعدها عن تهذيب التربية وطلاوة المدنية .

وأخيراً ، إذا كانت الواقعية فى تناولها للواقع تتكلف أن تعدده إعداداً فنياً فإن الطبيعية تأبى إلا أن تعرض ما تسميه « شريحة من الحياة » كما هى دون أن تمر بالمطبخ لإعدادها وتجهيزها وعرضها فى القالب الفنى المصطلح عليه .

وجملة القول — إن الطبيعية أكثر احتفالا بالحيوان منها فى الإنسان . وهى إن لم تتخذ موقفاً ضد الأخلاق ، فهى على الأقل لا شأن لها بالأخلاق على الإطلاق ، كما أن الفن بمعناه الاصطلاحي ليس له من شأن فيها إلا بالقدر اليسير .

فلا عجب إذن ، إذا هب الحصوم فى وجه الطبيعية ينادون بأن الأدب الطبيعى ليس بالرسالة الأخلاقية ، ولا بالعمل الفنى . ولما كان هذان هما قوام المسرح ، فقد أُنذر خصومها بأنه إذا استولت الطبيعية على المسرح لم يبق هنالك مسرح .

## المسرح الطبيعى

كان زعيم المدرسة الطبيعية فى القصة « اميل زولا » Emile Zola فى مقدمة الدعاة إلى أن يعتلى الأدب خشبة المسرح ويستولى عليه : فهذا هو منذ عام ١٨٧٣ يستخلص من إحدى قصصه التى كتبها قبل ذلك بست سنوات (١٨٦٧) وهى « تيريز راكان » « Thérèse Raquin » تمثيلية للمسرح وقد قدم لها بقوله « إنى موقن كل اليقين أنى سأرى الحركة

الطبيعية تفرض نفسها في القريب على المسرح حاملة إليه قوة الحقيقة ، والحياة الجديدة للفن العصري . . . إن الروح التجريبية والعلمية للعصر ستبلغ المسرح وتسوده ، وفي هذا وحده التجديد لمسرحنا .

وتتلخص قصة « تيريز راكان » « Thérèse Raquin » في أن « تيريز » التي زوجها عمها « راكان » ابنها « كامى » « Camille » — كانت تقضى في دكان الخردوات الصغيرة التي كانت لعمتها حياة مملّة كثيفة لا طعم لها ، إلى أن عرفها زوجها بأحد زملائه في السكة الحديدية وهو « لوران » « Lauren » فأصبح بعد قليل عشيقها ، ولم يلبث العاشقان أن ضاقتا بالزوج ، فتعمدا أثناء نزهة الثلاثة في زورق أن يغرقاه ، ثم تزوجا . ولكنهما لم يهنأ بعدها بالعناق ، إذ كان يقوم بينهما شبح الميت . وكان كل منهما يلقي تهمة الجريمة على الآخر ، وكان هذا التراشق بالتهمة يجرى دون تخرج أمام العمة التي أصابها الشلل التام وأفقدتها النطق ، وهى لا تفتأ تنظر إليهما محدقة فيهما تحديقاً فظيعاً . وعبثاً كان الاثنان يعمدان إلى التسلى واللغو طلباً للنسيان . وكان كل منهما يتوجس من الآخر ويخشى أن يشي به ، حتى أصبح تخلص أحدهما من الآخر ضرورياً . وفي إحدى الأمسيات انتهز « لوران » غفلة من « تيريز » وصبّ في قدحها حامضاً قاتلاً ، فلما التفت رآها وفي يدها سكين ، وكان موقف كل منهما من الآخر يثير

الرعب والرثاء . وعندها رفعت « تيريز » القديح وشربت نصفها ، وقدمتها إلى « لوران » فشرَّب البقية ، وارتقى الاثنان صريعين أمام العمدة المتخشبة الخرساء وتحت أنظارها المحدقة الثقيلة الساحقة .

والقارىء لهذه القصة يواجه فيها نزعة واقعية عنيفة بل وحشية ، فلا غرو أن تعتبر هذه القصة أولى قصص « زولا » الطبيعية . وقد نوه المؤلف بخصائص مذهب الطبيعية فيها ، إذ يقول في المقدمة « إن الغراميات بين البطلين هي إشباع للرغبة وقضاء للحاجة ، والجريمة التي ارتكباها هي نتيجة مترتبة على العلاقة الآتمة ، أما هذا الذي اضطرت إلى تسميته ندماً ، فهو مجرد اختلال عضوى ، ومن هذا يتضح أن الغرض الذي توخيته هو غرض علمى قبل كل شيء . فلينعم القارىء النظر وهو يقرأ القصة ، فإنه لا شك واجد أن كل فصل منها هو دراسة لحال طريفة من الحالات الفسيولوجية » .

كذلك انتهر المؤلف ظهور الطبعة الثانية من قصته فجعل شعارها على صفحتها الأولى كلمة الناقد « تين » في مقدمة كتابه عن تاريخ الأدب الإنجليزي : « إن الرذيلة والفضيلة شأنهما شأن سائر المنتجات مثل ماء النار والسكر » .

وفى القصة — لا ريب — موضوع عنيف رائع درامى جدير بما أدلى به المؤلف من تصريحات عن المذهب الطبيعى . وهذا ما دعا المؤلف أن يغامر بعرضها فى صورة مسرحية على



المسرح ليكون في تمثيلها على خشبته إعلان لانتصار المذهب ، ولكنها أخفقت ، كما أخفقت أخواتها لأكثر من واحد من القصاصين الطبيعيين ، على الرغم من نجاح أصولها القصصية ، وذلك أن دقائق الوصف التحليلي والقصد العلمي في القصة الطبيعية لا يبقى على المسرح منهما أثر ، كما أن هذه الحيلة المسرحية التي مني بها أعلام القصة الطبيعية دليل على أن هؤلاء القصاصين المشهورين لا يفقهون كثيراً في المسرح . وعلى حين فجأة ، طلع على الناس مؤلف مسرحي — لم يتوقعوا التجديد منه — بمسرحية « الغربان » في عام ١٨٨٢ فتحت صفحة جديدة في تاريخ المسرح ، وكان لها و « للباريزية » بعدها أثر عميق في تطور المسرحية .

## هنرى بك

ولد هنرى بك في الثاني عشر من ابريل عام ١٨٣٧ في قلب باريس في دار قديمة تحمل رقم ٢٠ شارع « شبرول Chabro » ، وقد نشأ في أسرة ملتزمة الشمل منصرفة إلى الكد والعمل ، متوسطة الحال . ولما شب الغلام وبلغ أشده التحق « بمعهد بوناپرت » Lycée Bonaparte حيث عكف على الدرس والتحصيل ، وإن لم يظهر تفوقاً لعدم التزامه النظام والطاعة . وقد أظهر هنرى بك منذ نعومة أظفاره ميلاً شديداً إلى الأدب ، وكان يعالج نظم الشعر وهو لا يتجاوز

من العمر خمسة عشر ربيعاً ، وفي هذا كله كان رائده عمه  
« مارتان لوبيز » « Martin - Lupize » الذى كان من كتاب  
الفوديفيل كما يدل على ذلك اشتراكه مع « لايبش » « Labiche »  
— أشهر كتاب الفوديفيل فى عصره — فى تأليف إحدى  
كوميدياته الأولى . وكان هذا العم حتى وفاته عام ١٨٦٣  
يصطحب هنرى الشاب إلى مجالس الأدب ، وفى أكثر  
الآحيان إلى المسرح ، وكان فتانا الأديب فى حاجة إلى كسب  
معاشه فاكاد يتم دراسته حتى انتظم فى وظيفة فى شركة السكك  
الحديدية الشمالية ثم فى « ديوان رتبة الشرف » « Chancellerie de  
la Légion d'Honneur » ثم معيداً للأدب ، ثم سكرتيراً  
للكونت « بوتوكى » « Polocki » وهو نبيل بولونى وثيق  
الصلة كثير الخلطة بالاجتمع العالى الباريزى ، وعن طريقه  
كان اتصال أديبنا هنرى بالمؤلف الموسيقى « فكتوريان  
جونسيير » « Victorien Joncières » وكان من ذلك اشتراكهما  
فى أوبرا « سردنابال » « Sardanpale » التى اقتبسها الأديب  
الفرنسى من الشاعر الانجليزى « بيرون » « Byron » ، وكان  
تقديم هذه الأوبرا على المسرح الغنائى فى باريس عام ١٨٦٧  
حيث بلغت مرات عرضها ثلاث عشرة مرة . وعلى الرغم  
من أن هذه البداية لم تكن باهرة فلأنها كانت كافية لإذكاء  
نار غرامه بالمسرح وتوثيق صلاته المسرحية .

على أننا نحب أن نضرب صفحاً عن هذه الأوبرا التى

نظمها هنرى بك فى صباه ، ما دام هو نفسه قد أسقطها من حسابه فى أكثر من مناسبة . والواقع أنها مثل الكثير غيرها من المنظومات التى يتطلب نظمها أصحاب الموسيقى ليضعوها فى القالب الموسيقى دون أدنى اهتمام لفهومها المعنوى وتقويمها الشعرى . ومن ثمة يصح لنا القول بأن أول ما قدمه هنرى بك للمسرح هو « الابن الضال » « L'enfant Prodigue » فى الخامس من نوفمبر عام ١٨٦٨ وهى مسرحية فكاهية من نوع الفودفيل تذكرنا بما كتبه من قبله « لايبش » فى بعض آثاره . وقد لقي مؤلفنا من العنت وقيام العقبات ما كاد يحول دون قبول مسرحيته ، لولا أن أظهر المؤلف المسرحى الطائر الصيت « فكتوريان ساردو » « Victorien Sardou » عطفه على مؤلفنا الشاب وتشجيعه له وحسن ظنه به ، مما كان له أثره فى حفز مدير « مسرح الفودفيل » إلى الخروج من موقف التردد الذى طال أمده ، وتقديم « الابن الضال » على مسرحه . وقد اتخذت الصحافة حيالها عند ظهورها موقفاً وسطاً بين الفتور والحماسة . ومما يؤثر عن الناقد المسرحى « سارسى » « Sarcey » فى تعقيباته المسرحية قوله : « إن هذا الشاب قد تلقى من عروس المسرح موهبة تقوم مقام كل ما عداها وهى : المرح .

ولكن المؤلف الشاب كان أكثر طموحاً من أن يقنع بلقب « المؤلف المرح » الذى تفضل به عليه شيخ النقاد ،

فها هو ذا يكتب بعد الفودفيل دراما من خمسة فصول مظلمة متجهمه ، تتخللها خطب مطولة ذات طابع رومانتيكى ، وهى « ميشيل بوبر » « Michel Pauper » ، ولقد قدمها لمسرح الكوميدي فرانسيز فرفضت ، فقدمها المدير مسرح الأوديون فظلت فى مكتبه راقدة فى غلافها ، حتى عيل صبر المؤلف من إهمالها ، وثارت لذلك ثائرتة ، فرفع للقضاء أمرها ، ولكنه خسر القضية ، فلم يبق أمامه ، إذا أراد للمسرحية أن ترى أضواء المسرح ، إلا أن يكون تمثيلها على نفقته . وعلى هذه التضحية صحت نيته ، فاستأجر مسرح باب سان مرتان « Théâtre de la Porte de Saint Martin » وعهد بالتمثيل إلى من اختارهم من الممثلات والممثلين ، ومنهم « تباد » « Taillade » العظيم . وفى السابع عشر من يونيه ١٨٧٠ كانت حفلة الافتتاح مشرفة ، وإن كانت صاحبة بعض الشئ . وقد أعقب الحفلة الأولى ثلاثون حفلة أخرى . ولكن المدير المؤلف لم تبلغ إيراداته القدر الذى يفى بكل نفقاته ، أو بالجانب الأكبر منها . فركبته الديون . ولا شك أن الدئب لم يكن كله للمسرحية ، فقد كان الناس فى شغل عن المسارح بما كان يقلقهم ويقض مضاجعهم من أبناء السياسة . لقد كان الأفق السياسى عام ١٨٧٠ ملبداً بالغيوم التى تنذر بقيام الحرب بين الألمان والفرنسيين ، وهى الحرب التى تعرف اليوم فى التاريخ باسم حرب السبعين . وهكذا لم يسع



هنرى بك إلا أن يوقف تمثيل مسرحيته ، ويسرح ممثلها  
ويرحل عن باريس إلى مدينة «تروفييل» «Trouville» . وهنا  
جاءت الأنباء بإعلان الحرب فلم يتردد في التطوع جندياً  
بسيطاً في صفوف الجند المقاتلين .

فلما وضعت الحرب أوزارها ، ألقى مؤلفنا الجندى  
نفسه ولا مورد له . فكتب - كيفما اتفق - مسرحية من ثلاثة  
فصول باسم «السبي» «L'enlèvement» ، وقد نجح في إقناع  
مدير مسرح الفودفيل بقبولها ، وكان أول عرضها في الثامن  
عشر من سبتمبر عام ١٨٧١ ، ولكن فشلها كان ذريعاً ،  
فاختفت بعد خمس حفلات ، وكتب «فيتى» «Vitu» من  
أساطين النقد وقتئذ ينصح المؤلف «أن يتخلى عن المسرح» .  
ولما كان لا بد لصاحبنا من السعى على الرزق وكسب  
المعاش ، فقد عاد إلى وظيفته في «ديوان رتبة الشرف» ثم  
اشتغل سمساراً في سوق الأوراق المالية (البورصة) ، ولكنه  
لم يفكر في التخلي عن المسرح . فقد اتفق في عام ١٨٧٦ أن  
عهد إليه صاحب جريدة الشعب le Peuple أن يقول باب  
النقد المسرحى في تلك الصحيفة الحديثة العهد . وهكذا عاد  
هنرى بك إلى الاتصال الوثيق بعالمه المحبب إليه مدى عام  
ونصف عام . ولم يكن النقد وحده هو شغله الشاغل ، بل  
كان في الوقت نفسه عاكفاً على كتابة مسرحية كبيرة اختار  
لها اسم «الغربان» «Les corbeaux» وقضى عاماً في كتابتها ،

هو يذكر هذا العام بقوله : « إن هذه اللحظة في حياتي هي  
أسعد ما أذكره » .

ولكن هذه المسرحية التي قضى عاماً سعيداً في كتابتها  
شاء القدر أن يشقى أعواماً خمسة من عام ١٨٧٧ - إلى عام  
١٨٨٢ وهو يذرع باريس كلها ، متنقلاً بين مسارحها ،  
يحمل إلى مديريها المخطوطة الأصلية للمسرحية ، وهم يرفضونها  
الواحد بعد الآخر .

كان هذا ولا ريب كفيلاً بأن يثبط عزيمته مؤلفنا ،  
ويقعد همته ، ويقضى على كل بقية للأمل في قلبه ولكنه  
تحامل على نفسه ، وتشاغل بتأليف تمثيلية أخرى للمسرح .  
وطبعي - وقد تقطعت نفسه حسرات - أن تكون هذه  
التمثيلية وتلك غير طويلة النفس ، لا تتجاوز الفصل الواحد .

وتحمل التمثيلية الأولى اسم « المكوك » Navette وهذا  
الاسم يرمز به المؤلف إلى الأنسة « انطوانيت » التي تلهو  
بثلاثة رجال وكأنهم في يدها ألعيب مضحكة تمسك  
بخيوطها وتحركهم على هواها ، وهي تستغلهم في وقاحة  
واستهتار ، وتسخر بهم في قسوة واحتقار .

وعلى خشبة هذا المسرح ، مسرح الجمناز ، في الأول  
من يناير عام ١٨٨٠ كان عرض التمثيلية القصيرة الثانية  
واسمها « المحصنات » « Les honnêtes femmes » ، وهي كسابقتها

من فصل واحد كما قدمنا ، وتتلخص في أن فتى من الفتيان يتحجب إلى سيدة متزوجة ، فإذا هي — بدلا من أن تستجيب له — تستدرجه من حيث لا يشعر إلى الزواج بشابة لطيفة من صديقاتها . وغنى عن البيان أن هذا ليس فيه التجديد الذى يفتح أفقا جديدا للمشاعر والأذهان .

وأيا كانت الحال فقد لقيت كل من المسرحيتين عند الجمهور نفس النجاح الموفور . بيد أنه لا بد مع ذلك من الإشارة إلى ما كان هنالك من الفارق بين المسرحيتين في التأثير . فقد كانت « المكوك » صدمة مفاجئة للمتفرجين بما فيها من الحقيقة القاسية ، ولا غرو فلإنها من حيث تاريخ تأليفها أقرب التمثيليتين عهدا إلى « الغربان » التى شاء القدر أن تنتظر لكى تسلك طريقها إلى المسرح نحو خمسة أعوام . وكان مؤلفها وقتئذ فى الخامسة والأربعين من عمره ، وقد عرف فى حياته الأدبية طوال هذه السنوات التى عاشها كل أنواع المنغصات التى يتعرض لها صاحب الفكر الحر والطبع المستقبل .

## مسرحية الغربان

فى الرابع عشر من شهر سبتمبر عام ١٨٨٢ والصيف يدلّف إلى نهايته ، وقد تحولت باريس إلى مدينة للأجانب السائحين من عملاء شركة كوك ، ولأهل الريف القادمين

لمشاهدة العاصمة — كانت العاصمة — فيما عدا ذلك — تبدو  
كالمدينة المهجورة ، فقد هجرها الباريزيون إلى المصايف  
الفرنسية . وأولى السباحة في الأقطار الأوروبية الأخرى فغاب  
عن المسارح روادها الأصليون ، ومعهم النقاد وأدعياء  
المعرفة المتحدلقون .

في هذه الفترة قدم مدير الكوميدي فرانسيز « المسيو  
ادوارد تيرى » « Edouard Thierry » على مسرح تلك الدار  
التاريخية مسرحية « الغربان » في أربعة فصول .  
ولم يكن هناك من يستقبل الغربان بالتصفيق غير أنصار  
المذهب الطبيعي من الشبان .

وتدور هذه المسرحية على أرملة وبناتها الثلاث ، وهن  
متجمعات ملازمات كالعاصفير المستضعفة هاضت أجنتها  
وهدت قواها العاصفة . فلقد كان « المسيو فنيرون »  
« Vignerone » من رجال الأعمال الناجحين في أوج نشاطه حين  
عاجلته المنية قبل أن يعد عدته ويرتب أمره لمثل هذه الساعة ،  
إذ جاءت وفاته فجأة بالسكتة القلبية ، فإذا برجال الأعمال  
من شريك ومهندس وموردين وسائر من ارتبط بالعمل معهم  
ينقضون على أرملته وعلى بناته اليتامى وهن حيارى من بغة  
النكبة وغمرة التركة المرتبكة — لاستلاب كل ما يمكن  
استلابه ، وتجريدهن من كل شيء . فلا غرو إذا سمعنا  
الخادم العجوز تصيح : ( لعمري إذا جاء وراء الميت رجال



الأعمال فجدير بالناس أن يصيحوا : « هؤلاء هم الغربان » ،  
فهم لا يتركون شيئاً يمكن نهبه إلا نهبوه . والذي يسترعى  
النظر فيهم أجمعين - أنهم أدنياء كالغربان وأنهم مثلها لا  
يحسون بدناءتهم .

فهؤلاء هم الدائنون يتقاطرون على الأسرة يطالبونها  
بديون مضاعفة ، أو ديون سبق وفاؤها والأسرة تشهد  
تدهور حالها ساعة بعد ساعة دون إدراك تام لما هو حادث .  
وكلما انتهت مرحلة بدأت مرحلة : فجع المال المسلوب منهم  
يظهر نقص في احترام الناس لهم ، وتنصرف الصداقة  
عنه ، فهذه « مدام دي سان جنيس » « Mme de Saint Genis »  
تفحش في إهانة « الآنسة بلانش فنيرون » « Mlle Blanche  
Vigneron » وقد كانت بالأمس سعيدة أن تراها مخطوبة لابنها  
وكان قد اعتدى على عفافها ، ثم هذا هو الموسيقار « مركنس »  
« Merckens » الذي كان يعلن بالأمس أن « الآنسة جوديت فنيرون »  
« Mlle Judith Vigneron » موسيقية نابغة عبقرية - يسخر  
اليوم من تلميذته التعسة التي تريد في سعيها وراء لقمة الخبز أن  
تعمل معلمة موسيقى أو مغنية في أحد المسارح ، ثم هذا  
« المسيو تسييه » « Tessier » شريك المتوفى يتآمر مع محامي  
الأسرة « المسيو بوردون » « M. Bourdon » لدفع الأسرة  
العاجزة التي لا حول لها إلى بيع المصنع بأبخس الأثمان .  
وسرعان ما تجرد الأسرة نفسها تتردى في الخضيض ، وهنا

لا تجد إلى الخلاص سبيلا إلا أن تضحي بالابنة الثالثة « ماري »  
« Marie » اليقظة الوعى ، المفتوحة العينين ، التى لم يفلح  
الشريك العجوز « تسييه » فى غوايتها ، فتقدم لخطبتها ، وهو  
الذى جاء فى وصفه أنه « عجوز » مشوه الإهاب جلف  
الطباع ، شحيح ، دائم النظر إلى أسفل لا يرفع بصره . وفى  
هذا الكفاية ليشفى الإنسان بلقائه والوجود لحظة معه . وعلى  
الرغم من هذا كله لم يسمع « ماري » لكى تنقذ ذويها من  
البؤس إلا أن ترضى به زوجاً . وهى تقبل زواجه من غير  
بكاء ولا عويل . ومن غير التظاهر بالموقف النبيل وما إلى  
ذلك بل تقبل زواجه شأن الفتاة العملية تضحي التضحية  
المحتومة الطبيعية : وهذا زوجها يقول لها عند نزول الستار :  
« مسكينة يا ابنتى ، لقد أحاط بك هؤلاء المحتالون النصابون  
منذ أن توفى أبوك » .

ونحن حين نسمع ذلك ، نذكر أنه هو نفسه كان أخطر  
هؤلاء الغربان ، ولكن ماري قد أحسنت مع ذلك صنعا ،  
فليس يحى من سطوة الغربان مثل الدخول فى حاية أخطرهم .  
هذه هى سخرية « هنرى بك » ، وهذه هى لغته .  
كلتاها بسيطة فظيعة .

قبل الغربان وبعدها :

كان المسرح فى عصر « هنرى بك » خاضعا للكثير من

المصطلحات المرعية ، فكان لا بد فيه من الشخصيات المحببة التي تمثل الفضائل التقليدية وتنصرها وتحبب فيها . وكان لا بد فيه من الموضوعات الناجحة التي ترضى العرف البورجوازي وتناقش مشكلاته حيناً وتوافق هواه في أكثر الأحيان ، وكان لا بد من المناجيات التي تدخل فيها العاطفة وتخطب القلب ، فهو مسرح لا بد فيه من مثل أعلى يصطنعه .

كذلك كان المسرح في عصر « هنرى بك » يعنى بحسن العرض ، والحبكة المسرحية التي تدبر المواقف واحداً بعد الآخر ، وتعين مواضع الكلمات المعدة للتأثير المسرحى ، وما إلى ذلك مما يتألف منه ما يسمونه « فن المسرح » فهو كذلك مسرح لا بد فيه من الزيف الفنى . كان هذا هو الغالب على المسرح وقتئذ .

فلما أخرج « هنرى بك » مسرحية « الغربان » ثم أختها « الباريزية » نبذ تلك المصطلحات أو على الأقل معظمها وآثر على تلك الشخصيات المحببة المصطنعة أشخاصاً لهم ملامح الأحياء ومخنتهم وأنانيتهم الطبيعية فهو في « الباريزية » يعرض لنا امرأة قلبها في حواسها والمثال المنشود للحياة عندها المتعة الوداعة الهنية ، والرذيلة المتسترة البورجوازية . ومن قبل ذلك « الغربان » يعرضهم في تصرفاتهم الدنية ماضين في حركة طبيعية ، فهم في دناءتهم يصعدون عن طبيعتهم .

والقارىء لا يسعه بعد ما قدمناه إلا أن يجد فى هاتين المسرحيتين مشابه من المذهب الطبيعى ولكن « هنرى بك » يفاجئنا معلناً براءته من الطبيعية وأشياءها ، فهو يقول ويردد المقال : « لم أكن قط كثير الميل إلى القتل ومرضى الهستيريا والسكيرين ، ولا إلى شهداء الوراثة وفريسة التطور . . . إن زولا وأصحابه وشيعة الحزب الطبيعى يسخرون منا ، وإننا منهم لساخرون » .

• • •

والواقع أن مؤلف « الغربان » متمرد على المدارس الأدبية غير متقيد بالأوضاع والمصطلحات المسرحية . وهو فى نهجه بين الواقعية والطبيعية ينشد الحقيقة الإنسانية دون غيرها . ومهما قيل من أن جماهير المسرح اليوم وقبل اليوم لا يستحبون من « الغربان » لون الجداد فى جوها القاتم وفى نسائها المتسرבלات بالسواد ، وإنهم يوثرون « الباريزية » فإنه لا خلاف فى أن مؤلفهما « هنرى بك » معدود عند النقاد ومؤرخى الأدب المسرحى رائداً للمسرح العصرى فى حرصه على الحرية الفنية والحقيقة الإنسانية .

عبد الرحمن صدقى



# اشخاص المسرحية

|                          |           |
|--------------------------|-----------|
| صاحب مصنع                | : فنبيرون |
| صاحب بنك ، وشريك فنبيرون | : تسييه   |
| موثق عقود                | : بوردون  |
| مدرس موسيقى              | : مركنس   |
| مهندس عمارة              | : لوفور   |
| تاجر بسط                 | : دوبوى   |
| ابن فنبيرون              | : جاستون  |
| :                        | : أوجسط   |
| :                        | : طبيب    |

شخصيات صامتة { جورج دى سان جينى  
لونورمان  
الجنرال فرومنتان

مدام فنبيرون  
مدام دى سان جينى

مارى  
بلائش  
بنات فنبيرون { جوديت  
روزالى

تقع حوادث المسرحية فى باريس ، فى الوقت الحاضر

## الفصل الأول

يمثل المسرح بهوا : رياش فاخر وهاج ،  
بدخ عظيم . فى القاع ثلاثة أبواب من  
ذات المصراعين ، أبواب جانبية من  
ذات المصراعين أيضاً . فى الجهة اليمنى  
فى المستوى الأمامى من المسرح يرى  
بيانو مستنداً إلى الحائط ، وفى مواجهة  
البيانو من الجهة اليسرى منضدة صغيرة  
من تلك التى تسمى « سكرتيرا » .  
وبعد « السكرتير » توجد مدفأة . على  
المسرح أيضاً فى المستوى الثانى من الجهة  
اليمنى توجد منضدة ، وفى الجهة  
اليسرى فى المستوى الأول أريكة ،  
مقاعد متنوعة ، مرايا ، زهور ، الخ .

## المنظر الأول

فنيرون : مدام فنيرون ، مارى ،  
بلانش ، جوديت ، ثم أوجسط ثم  
جاستون .

لدى ارتفاع الستار يرى فنيرون ممدداً  
على الأريكة ، يداعبه النوم ، لابساً  
« روب دى شامبر » ، وبين يديه  
صحيفة . مارى جالسة بالقرب منه  
تشتغل بالإبرة . جوديت جالسة أمام  
البيانو ، وبلانش أمام المنضدة تشتغل  
بالكتابة .

مدام فنيرون : أغلقى البيانو ، يا عزيزتى جوديت ، إن  
والدك نائم .

[ ذاهبة نحو المنضدة ] بلانش ؟

بلانش : نعم ، يا أمى ؟

مدام فنيرون : هل انتهيت ؟

بلانش : بعد دقيقة واحدة .

مدام فنيرون : هل قمت أنت أيضاً بالإحصاء ؟ كم

سيكون عددنا على المائدة ؟

بلانش : ستة عشر شخصاً .

مدام فنيرون : هذا هو العدد .

[ تذهب لإحضار كرسى وترجع للجلوس بالقرب

من بلانش ]

بلانش : أظنن أن العشاء يصير أكثر بهاء إذا

وضعنا قائمة الطعام فوق الأطباق ؟

مدام فنيرون : على الأقل لن يقلل ذلك من بهائه .  
بلانش : يا لها من عادة غريبة ! ولكن أأنت

واثقة من أن هذه هي العادة ؟  
مدام فنيرون : كل الوثوق . لقد قرأت ذلك في  
كتاب « المطبخ البرجوازي » .

بلانش : أتسمحين بأن نشترك معاً في ترتيب  
الأماكن ؟

مدام فنيرون : لنبدأ أولاً بمراجعة الأسماء . السيدة  
دي سان جيبي ؟

بلانش : انتهينا منها .  
مدام فنيرون : وابنها ؟

بلانش : ليس من المعقول ، يا أمي أن أنساه .  
مدام فنيرون : والأب موتون ؟

بلانش : عزيزي الأب موتون . سأكون قد  
تلقيت على يديه جميع طقوسى الدينية .

طقوس التعميد ، وطقوس تناول  
القربان . . . وطقوس الزواج .

مدام فنيرون : إذا كنت ستثرثرين هكذا لدى ذكر  
كل اسم ، فلن تنتهى من هذا الأمر  
قبل الأسبوع التالى . والسيد تسييه ؟

بلانش : ها هو ذا ، السيد تسييه ، لم يكن



يُضِيرُنِي فِي شَيْءٍ أَنْ أَحْرَمَ مِنْ وَجُودِهِ

: [مستيقظاً] ما هذا الكلام الذي سمعته؟

أُمِّي الْآتِسَةُ بِلَانْشُ الَّتِي تَتَكَلَّمُ بِاسْمِهَا

الْخَاصِّ فِي بَيْتِي؟

: وَمَاذَا فِي ذَلِكَ؟ نَعَمْ، يَا وَالِدِي، أَنَا

بِلَانْشُ الصَّغِيرَةُ.

: وَهَلْ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَعْرِفَ مَاذَا فَعَلَ لَكَ

السَّيِّدُ تَسْيِيهِ؟

: لِي أَنَا؟ لَا شَيْءَ. إِنَّهُ طَاعَنٌ فِي السَّنِّ،

قَبِيحُ الْخَلْقَةِ، فَظُّ الطَّبَاعِ، بَخِيلٌ،

وَلَا يَرَى إِلَّا وَهُوَ يَسْتَرْقِ النَّظَرَ،

وَهَذَا وَحْدَهُ يَكْفِي لَجْعَلِي أَشْعَرَ بِالْأَلَمِ

حِينَ أَجْدُنِي مَعَهُ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ.

: حَسَنٌ جَدًّا، عَظِيمٌ. سَأَرْتَبُ هَذَا الْأَمْرَ

اسْمَعِي يَا مَدَامُ فِينِيرونَ. ارْفَعِي طَبَقَ

هَذِهِ الْبُنْيَةِ الصَّغِيرَةِ مِنْ فَوْقِ الْمَائِدَةِ،

وَدَعِيهَا تَتَنَاوَلُ عِشَاءَهَا فِي حَجَرَتِهَا.

: وَلَا تَنْسِي أَنْ تُضِيفِي إِلَيَّ ذَلِكَ أَنَّهُ يَجِبُ

تَوْقِيعَ الْعَقْدِ بَدُونِي.

: إِذَا تَفَوَّهْتَ بِكَلِمَةٍ أُخْرَى، فَلَنْ

أُزَوِّجُكَ. هَهُ، [هَنِيئَةً]

فِينِيرونَ

بِلَانْشُ

فِينِيرونَ

بِلَانْشُ

فِينِيرونَ

بِلَانْشُ

فِينِيرونَ

: [ بعد أن تكون قد نهضت من مكانها ] أنصت

مارى

إلى قليلاً ، يا والدى ، وأجبنى بكل  
جد ، وإن كنت لا تفعل ذلك مطلقاً  
حين تسأل عن صحتك . كيف  
حالك ؟

: لا بأس .

فنيرون

: ومع ذلك ، فلن وجهك شديد الحمرة

مارى

: شديد الحمرة . سيذهب ذلك بمجرد

فنيرون

خروجه إلى الهواء الطلق .

: إذا كان هذا الدوار لا يزال يعاودك ،

مارى

فن الواجب أن تستدعى أحد الأطباء .

: أحد الأطباء ؟ أنت ، إذن ، تريد

فنيرون

موتى ؟

: ما هذا المزاح ، وأنت تعلم جيداً أن

مارى

ذلك يؤلمنى ، كفى كلاماً فى هذا

الموضوع .

[ تغادره ، فيجدها بذيل ثوبها ويضمها بين

ذراعيه ] .

: أنت ، إذن ، تحين والدك البدين

فنيرون

فنيرون ؟

: نعم ، لى أحبك كثيراً ، كثيراً ،

مارى

كثيراً . . . ولكنك لا تفعل شيئاً مما  
أريد منك أن تفعله ، ومما يجب عليك  
أن تفعله : خفف من عملك أولاً وقبل  
كل شيء ، واستمتع قليلاً بثروتك ،  
وعالج نفسك حين تكون مريضاً .

فنيرون

: ولكنى لست مريضاً يا طفلى .  
وأعرف جيداً ما لدى : بعض الإجهاد  
وذلك الدم الذى يصعد إلى رأسى ،  
وهذا ما يحدث لى فى مثل هذا الأوان  
من كل عام بعد الانتهاء من عمل الميزان  
السنوى . ميزان محل تسييه وفنيرون  
وشركائهما . أتعرفين كم قدم إلينا ،  
إلى تسييه وإلى ، ثمناً لمصنعنا منذ ما لا  
يزيد عن ثمانية أيام ؟ ستائة ألف من  
الفرنكات .

مارى

: وماذا تنتظران ؟ كان من الأفضل أن  
تبيعه .

فنيرون

: سأبيعه بمليون بعد عشر سنوات ،  
وحتى ذلك الحين سيكون قد ربح  
مليوناً آخر .

مارى

: وكم ستبلغ من العمر فى ذلك الحين ؟

فنيرون : كم سابلغ من العمر ؟ بعد عشر سنوات

سأكون في عمر أحفادي ، وسنشتري  
في ضروب ممتعة من التسلية [ أوجسط  
يدخل ] ماذا تريد يا أوجسط ؟

أوجسط : إنه مهندس سیدی ، وهو يريد أن

يقول له كلمة .

فنيرون : أخبر السيد « لوفور » أنه إذا كان

يريد أن يكلمني في شيء ، فليذهب  
إلى مقابلي في المصنع .

أوجسط : إنه قادم منه ، يا سیدی .

فنيرون : فليعد إليه . إني هنا مع زوجتي وأولادي

وليس لي أن أزعج نفسي من أجل  
استقبال رجال أعمال . [ أوجسط يخرج ]  
دعيني أنهض .

[ ماري تبتعد ، فنيرون ينهض بمشقة ، يعتريه  
بعض الدوار ويقوم ببضع خطوات مضطربة ] .

ماري : [ عائدة إليه ] . لماذا لا تريد أن تعرض

نفسك على طبيب ؟

فنيرون : ألم ننته بعد من هذا الأمر ؟

ماري : كلا لم ننته . مهما قلت لي ، فلن

تستطيع إقناعي بأن حالك على ما يرام .  
عالج نفسك ، إفعل أي شيء ، فلعلك



إذا اتبعت نظاماً معيناً في الغذاء لمدة  
ثمانية أيام فقط ، عادت إليك صحتك  
بتمامها .

فنيرون

: يا لك من ماكرة . إنى الملح جيداً ماذا  
تريدين بنظامك الغذائى هذا . فأنا  
أسرف فى الطعام . ولكن ماذا تريدين  
يا بنيتى ؟ إنى لم أحظ دائماً بمائدة  
ملیثة ولا بأشياء طيبة بهذا الكم . إسألنى  
أملك تخبرك أننى كثيراً ما آويت إلى  
فراشى دون عشاء فى بدايات حياتنا  
الزوجية . وهأنذا أعوض ما فاتنى .  
هذا سخيف — هذا حقير ، هذا يؤلمنى ،  
ولكنى لا أستطيع المقاومة . [ يترك  
مارى ] ثم إنى أعتقد بأننى مخطئ . إذ  
أقرأ صحيفة « العصر » بعد الغذاء ،  
فلأنها تعوقنى عن الهضم .

[ يفرك الصحيفة بيديه وهو يرجع إلى داخل  
المسرح ويلقى بها فوق الأريكة ، نظراته  
تتجه نحو جوديت ، وجوديت جالسة أمام  
البيانو مدبرة ظهرها ، وتبدو غارقة فى تفكير  
عميق ، يتجه إليها فى خطوات بطيئة ثقيلة  
ويعصيح فى أذنها جوديت ] .

: أوه ، يا أبى . أنا لا أحب هذا النوع

جوديت

من المزاح ، وأنت تعرف ذلك جيداً .

: لا تغضبني ، يا آنستي ، فلن أعود إلى

ذلك . احكي لي ، يا جوديت بعض

ما يدور . . . في القمر .

فنيرون

: الآن تعود إلى السخرية مني .

جوديت

: من أين عرفت أنني أضحك منك ؟ إن لي

فنيرون

بنتاً تسمى جوديت . أهى هنا ؟ أهى

في مكان آخر ؟ كيف لي أن أعرف

ذلك ؟ فلا أحد يسمعها .

جوديت

: ليس لدى شيء أقوله .

: لا يستغنى المرء عن الكلام على أية حال

فنيرون

: لماذا يحلو لك في أن تداعبني دائماً حول

جوديت

هذه المسألة ؟ إنني أراك وأسمعك وأحبك

وأشعر بأنني سعيدة .

فنيرون

: أأنت سعيدة ؟

جوديت

: كل السعادة .

: إذن فأنت على صواب ، يا ابنتي ،

فنيرون

وأنا الخاطئ . ألا تقبليني ؟

: تسألني ما إذا كنت أريد أن أقبلك ؟

جوديت

مائة مرة في مقابلة مرة واحدة ،

يا والدي الفاضل .

[ يتبادلان القبل ، يدخل أوجسط ] .

فنيرون : ماذا وراءك أيضاً ؟ ألا يمكنني .

إذن ، أن أقبل أولادي في هدوء ؟

أوجسط : دوبوى هنا ، يا سيدى .

فنيرون : دوبوى . دوبوى تاجر البسط الذى

يقيم فى ميدان الفوج ؟ ماذا يريد ؟

لقد صفيت حسابى معه منذ زمن طويل

أوجسط : السيد دوبوى عرج علينا ، فى طريقه ،

ليرى ما إذا كان سيدى يريد منه أى

شئ .

فنيرون : أخبر السيد دوبوى من قبلى بأنى لا

أستطيع أن أشتري مرتين من لص مثله

أذهب [ أوجسط يخرج ، فنيرون يتجه نحو

المنضدة ] آه ! ماذا تعملان كلاكما ؟

مدام فنيرون : دعنا فى حالنا ، أرجوك ، يا صديقى .

إننا نرتب أمر العشاء الذى سنقدمه هذا

المساء .

فنيرون : آه ! ... هيا ، أقبلى يا مدام فنيرون

لكى أسر إليك بكلمة فى أذنك .

[ مدام فنيرون تنهض ، ويجمعان فى مقدمة

المسرح ]

إذن ، هذا أمر متفق عليه ، هذا ما قد

تقرر ، سنعطى ابنتنا هذا التافه ؟

: أمن أجل هذا أزعجتني ؟

مدام فنيرون

: أنصتي إلى . الواقع أني لا أضمر نوايا

فنيرون

سيئة نحو هذا الزواج . فدام دى سان

جيني امرأة صالحة ، فيما يبدو لي . نعم

إنها مفلسة - تمام الإفلاس ، ولكن

ليس هذا ذنبها ، أليس كذلك ؟ أما

ابنها فغلام صغير طيب القلب لطيف

المعشر ، مجعد الشعر بشكل عجيب ،

جم الأدب ، وعلى وجه الخصوص

مرجل الشعر إلى أبعد حد . ومن

المؤكد أنه لن يمضي وقت طويل حتى

: لا أخرج عن مصارحته بأنه يسرف

في تلطيخ شعره بالمراهم . إنه يتقاضى

ألف قرش من وزارة الداخلية ، وهذا

مبلغ لا بأس به بالنسبة لسنة . ولكني

أتساءل ، في نهاية الأمر ، عما إذا كان

هذا زواجاً حكماً ، وعما إذا كانت

ابنتي ستسعد حقاً مع هذا السيد الصغير

لحرد أنه يحمل لقباً من ألقاب النبلاء .



مدام فنيرون

: ولكن بلانش مجنونة بحب عزيزها جورج .

فنيرون

: بلانش طفلة ، وأول شاب التقت به

قد أدار رأسها ، فالمسألة في غاية البساطة .

مدام فنيرون

: ماذا دهالك ، يا صديقي ؟ بأى مناسبة

عدت إلى الكلام في هذا الزواج الذي

يعتبر منتهياً . أظنك لا تأخذ على مدام

دى سان جينى مركزها من الثروة ،

فإن ثروتنا نحن لم تكن دائماً على ما هى

عليه الآن . إذن من أى شيء تشكو ؟

من أن جورج فتى وسيم ، حسن التربية ،

ومن أسرة كريمة ؟ أما إذا كان يحمل

لقباً نبيلاً فمن حسن حظّه .

فنيرون

: طبعاً مما يرضى غرورك أن يتمتع زوج

ابنتك باسم من أسماء النبلاء .

مدام فنيرون

: نعم ، هذا يرضى غرورى ، وأعترف

لك بذلك ، ولكنى ما كنت لأضحى

بسعادة لإحدى بناتى من أجل تفاهة لا

أهمية لها . [ مقتربة ، منه وبصوت أكثر

انخفاضاً ] أتريد أن أصارحك بكل شيء ،

يا فنيرون ؟ إن بلانش طفلة ، هذا

حق ، طفلة متواضعة وساذجة إلى

## فنيرون

أقصى حد ، هذه العزيزة الغالية ،  
ولكن أنوثتها تفوق سنّها ، ولن نندم  
على أننا بكرنا في زواجها . وأخيراً ،  
إن الأب موتون ، وهو صديقنا  
ويعرفنا خير معرفة ، لم يكن ليهتم بهذا  
الزواج لو لم يعرف أنه مناسب للجميع  
ومن الذي يقول عكس ذلك ؟ ولكن  
هذا لا يغير من الأمر شيئاً ، فقد تسرعنا  
أكثر مما ينبغي . فقبل كل شيء ،  
ليست أمور الزواج من شأن القسس .  
ثم اشرح لي كيف ما تأتى لمدام دى  
سان جينى التى لا تملك ملياً ، وهذا  
ما لا أكف عن تكراره ، كيف تأتى  
لها مثل هذه الصلات الطيبة . كنت  
أظن أن شهود ابنها سيكونون من  
الأشخاص الذين لا وزن لهم ، والواقع  
أنها وجدت لها شهوداً يفوقون شهودنا :  
رئيس قلم وجنرال ، نعم من اليسير أن  
نفهم حضور رئيس القلم ، ما دام  
السيد جورج يعمل في مكتبه ، ولكن  
ما بال الجنرال ؟

مدام فنيرون : وأى غرابة فى ذلك ؟ الجنرال ؟ أنت

تعرف أن السيد دى سان جينى ،  
الأب ، كان يوزباشياً . هيا ، إذهب  
إلى عملك ، يا صديقى . [ تتركه ]  
أحضرى لوالدك حلته الرسمية ،  
يا بلانش .

[ تخرج من الباب الأيمن وتتركه مفتوحاً  
وراءها ]

فنيرون : [ ينزع الروب «دى شامبر» ويرتدى الملابس التى  
أحضرتها له بلانش ] .

ها أنت ذى أيتها الجمحودة .

بلانش : جمحودة . بأى مناسبة تقول لى ذلك ؟

فنيرون : بأى مناسبة ؟ إننا إذا كنا الآن أثرياء ،

وإذا كنت قد استطعت أن تتزوجى ،

وإذا كان قد أتيح لى أن أمنحك مهرأ ،

فالفصل فى كل ذلك يرجع إلى السيد

تسييه .

بلانش : كلا يا والدى .

فنيرون : كيف تقولين كلا ؟ أليس تسييه ،

على ما أظن ، هو الذى جعلنى فى الحالة

التي أنا عليها الآن بفضل مصنعه ؟

بلانش : الواقع أنك أنت الذى جعلت مصنع

السيد تسييه فى الحالة التى - هو عليها  
الآن . بدونك كان المصنع يخسر ،  
أما بفضل وجودك ، فالله وحده يعلم  
مقدار الأرباح الطائلة التى أغدقها على  
السيد تسييه . فلو كان مكانه رجل  
آخر غيره ، رجل عادل ، ورأى  
مواهبك ومدى تفانيك لقال لك : لقد  
كان هذا المصنع لى وحدى بادئ  
الأمر ثم أصبح لنا نحن الاثنين ، أما  
الآن فهو لك وحدك .

فنيرون : يا لطيفة قلبك . إنك لا تتناولين شيئاً  
دون أن تضيفى عليه من عواطفك .  
نعم يجب ألا يكون المرء خلواً من  
العواطف ، ولكن ليس له أن يعول  
كثيراً على عواطف الآخرين .  
[ يقبلها ]

مدام فنيرون : [ داخلة ] . ما هذا ، ألا زلت هنا ،  
يا فنيرون ؟

فنيرون : أجيئنى عن هذا السؤال ، يا مدام  
فنيرون : أنا الذى أدين لتسييه ، أم  
تسييه هو الذى يدين لى ؟



مدام فنيرون : لا أنت تدين له ولا هو يدين لك .  
 فنيرون : فسرى لنا ذلك .  
 مدام فنيرون : أتصر كثيراً يا صديقي على أن أنبش  
 هذه القصة مرة أخرى ؟  
 فنيرون : نعم ، انبشها .  
 مدام فنيرون : كان السيد تسييه ، يا أولادى ،  
 صاحب بنك صغير يحمل رقم ١٢ من  
 شارع « جينيجو » حيث كنا نقطن  
 نحن أيضاً . وكنا نعرفه ولا نعرفه .  
 كنا قد لجأنا إلى معروفه فى بعض  
 ساعات عسرنا ، وقبل منا بعض  
 « الكمبيالات » دون صعوبة ، لأننا  
 كنا مشهورين بالأمانة . وبعد ذلك  
 بزمان ما ، تصادف أن آل إلبه فى  
 غمرة أعماله أخذ المصانع . فتذكر  
 والدكم وعرض عليه أن ينوب عنه  
 فى إدارة المصنع ، ولكن بالمرتب .  
 وفى هذه الفترة كنا قد خرجنا من  
 ضائقنا ، إذ كان والدكم يشغل وظيفة  
 حسنة فى محل محترم ، فرأينا من  
 الحكمة أن يحتفظ بها . ومرة على هذه

المسألة خمسة عشر شهراً ، وكنا قد  
نسينا كل ما يتعلق بها ، ولم نعد نفكر  
فيها منذ زمن طويل . وذات مساء ،  
في الساعة التاسعة والنصف بالضبط —  
إذ لا أزال أحتفظ في ذاكرتي بهذه  
الساعة — كانت أبواب غرفكم  
مفتوحة ، وكنا ، فنيرون وأنا ،  
نتبادل النظرات ونحن ننصت إليكم  
في نومكم . وفجأة دق الجرس . ولم  
يكن الوافد إلا السيد تسبيه الذي صعد  
إلينا سلم الطوابق الخمسة لأول مرة  
في حياته . وكان قد اتخذ بينه وبين  
نفسه قراراً حاسماً ، إذ أن مصنعه ،  
إذا أردنا أن نسمى الأشياء بأسمائها ،  
كان قد أصبح لا يصنع شيئاً مطلقاً ،  
فجاء يتوسل إلى والدكم أن ينجده  
باشترাকে معه . فشكره فنيرون بكل  
أدب وطلب منه أن يمهله إلى الغد .  
وبمجرد أن خرج السيد تسبيه قال لي  
والدكم ، أنصتوا جيداً إلى ما قاله لي  
والدكم ، قال لي : اسمعي ، أيتها

الزوجة الصالحة ، هذه فرصة تتاح لنا ،  
فرصة جاءت متأخرة بعد أن بدأ حالنا  
يستقيم ، سأسهبين بكل تعب ،  
وستظلين دائماً ، يا زوجتي الصالحة ،  
في حالة ذعر وقلق حتى أنجح ،  
إذا قدر لي أن أنجح . ولكننا كنا  
نرى أن لدينا أربعة أطفال وأن  
مصيرهم قد يكون معلقاً على هذا الأمر  
[ تمسح دموعاً في عينها وتضغط على يد زوجها ،  
الأطفال يقتربون بعضهم من بعض ، تأثر عام ] .  
والآن إذا أردنا أن نرجع إلى سؤالك ،  
فإن الأمر في غاية البساطة . لقد قام  
السيد تسييه والسيد فنيرون بعمل  
مشترك ، وقد عاد على كليهما بالخير ،  
فدمة كل من الطرفين خالصة بالنسبة  
للآخر .

فنيرون

: هيه ، أيها الأطفال ، إنها تقول قولاً  
سديداً . اتخذوا هذه المرأة قدوة لكم ،  
وحاولوا دائماً أن ترتفعوا إلى مستواها ،  
ولن نطلب منكم أكثر من ذلك .  
[ يقبل زوجته ]

- مدام فنيرون : إنك تضيع الوقت ، يا صديقي ، وهذا  
غير طبعي . ألا زالت صحتك منحرفة
- فنيرون : كلا ، يا زوجتي الطيبة ، إنني على  
عكس ذلك أشعر بتحسن كبير ، بل  
يبدو لي أنني قد شفيت تماماً . والآن  
سأرجو الأنسة جوديت ، موسيقية  
الأسرة العظيمة ، أن تسمعني شيئاً ما ،  
وبعدها سأخلصكم من وجودي .
- جوديت : ماذا تريد أن أعزف لك ؟ قطعة  
الشاعر المتجول ؟
- فنيرون : ليكن الشاعر المتجول . [ بلانش ] أهي  
مرحة ، قطعة الشاعر المتجول ؟ أهي  
من تأليف روسيني ؟
- بلانش : كلا ، من تأليف فردي .
- فنيرون : آه . فردي ، مؤلف قطعة الهوجنوت .
- بلانش : كلا ، الهوجنوت من تأليف مايرير .
- فنيرون : هذا حق . مايرير العظيم . كم يبلغ  
من العمر الآن يا ترى ، مايرير ؟
- بلانش : لقد مات .
- فنيرون : آه ! لقد مات دون أن أعلم بموته . . .
- [ الجوديت ] ألا تجدين قطعة الشاعر



المتجول ؟ لا تبحثي ، يا بنيتي ، لا  
تكلفي نفسك هذه المشقة . هيا ،  
يكفى أن تعزفي لى قطعة . . . السيدة  
البيضاء .

: أنا لا أعرفها .

جوديت

: ألا تعرفين قطعة السيدة البيضاء ؟

فنيرون

أعبدى ذلك على سمعى . لا تعرفين .  
إذن ، ما فائدة الدروس التى سمحت  
لك بتلقيها ، تلك الدروس التى تكلف  
عشرة فرنكات فى الساعة الواحدة .  
وماذا يعلمك أستاذك ؟ هيا ، أجيبي ،  
ماذا يعلمك ؟

: يعلمنى الموسيقى .

جوديت

: هيه ؟ والمرأة البيضاء إذن ، أليست  
من الموسيقى ؟

فنيرون

: [ وهى تجذب جوديت ] : هيا ، يا أختى

مارى

الكبيرة ، اعزفى لوالدنا ما يطلبه منك .  
[ جوديت تجلس أمام البيانو وتبدأ عزف  
القطعة الشهيرة ] :

من هنا أنظر إلى تلك الأملاك الجميلة  
التي تناطح السماء أعرافها ،

هناك ربة أملاك خفية  
تسهر على هذا القصر في كل وقت .  
أيها الفارس الخائن الشرير ،  
خذ حذرک !

السيدة البيضاء تراك ،  
السيدة البيضاء تسمعک .

[ أخذ فينيرون في الغناء وتلته زوجته ثم  
بناته ، في وسط المقطوعة يصل جاستون ، يطل  
رأسه أولاً من باب القاع ثم يدخل ويذهب  
إلى المدفأة ويتناول المحرقة والملقاط ويكمل  
الصخب ] .

: [ ذاهباً نحو ابنه عدوا بمجرد انتهاء المقطوعة ] .  
أين كنت أيها الخبيث ؟ لماذا لم تتناول  
معنا طعام الغداء ؟

: تناولت الغداء مع أحد أصدقائي .

: ما اسم هذا الصديق ؟

: أنت لا تعرفه .

: بالطبع ، أنا لا أعرفه . قف معتدلاً

أمامي حتى أنظر إليك . [ يبتعد قليلاً ]

عن ابنه حتى يتمكن من رؤيته جيداً ، جاستون  
لا يزال يحتفظ في يديه بالمحرقة والملقاط ،  
يتناولها منه ويذهب ليضعهما في مكانهما ،  
يعود إلى ابنه ويقف على بضعة خطوات منه

فنيرون

جاستون

فنيرون

جاستون

فنيرون

ويتأمله بخنان [ . قف معتدلاً القائمة

[ يذهب إليه ويربت عليه بيده ] أرني

لسانك . حسن جداً . اسعل قليلاً .

بأقوى من ذلك . [ بصوت منخفض ]

أمل ألا تتعب نفسك فوق طاقتك .

: في ماذا ، يا والدي ، وأنا لا أقوم

بأى عمل .

جاستون

: أنت تقوم بعمل الحمقى في هذه الفترة .

فنيرون

إذا كنت أقول لك ألا تتعب نفسك

فوق طاقتك ، فلماذا أعرف ما أعنى

جيداً ، وأنت أيضاً ، أيها الحبيث ،

تفهمني جيداً . أنت في حاجة إلى

نقود ؟

: كلا .

جاستون

: افتح يدك .

فنيرون

: لا فائدة من ذلك .

جاستون

: افتح يدك .

فنيرون

: أنا لا أريدها .

جاستون

: إنه الأب فنيرون الذي رباه ، أعنى

فنيرون

هذا الطفل . ضع هذه النقود في

جيبك ، وبأسرع من ذلك . رفه عن

نفسك جيداً ، يا طفلى ، أريد منك  
 أن ترفه عن نفسك . اسلك سلوك  
 السيد العظيم ، اسلك سلوك الشيطان ،  
 افعل ما بدا لك . ولكن انتظر  
 دقيقة ! أنت سيد نفسك بمجرد أن  
 تخرج من البيت ، أما هنا ، أمام  
 أخواتك ، فاحفظ بسيا الوقار ،  
 لا تنطق بكلمة نابية ، وبشكل خاص ،  
 لا تترك خطاباتك تنثر ذات اليمين  
 وذات الشمال . وإذا احتجت إلى من  
 تبوح له بذات نفسك ، فهأنذا .

جوديت : سنوئل المقطوعة الثانية حتى ترجع ،  
 يا والدى .

فنيرون : [ بعد أن ينظر فى ساعته ] .

غنوا المقطوعة الثانية بدونى . [ يأخذ

قبضته ويتجه نحو الباب ، يتوقف ويحيل بصره  
 على عالمه الصغير ، ويعود من حيث أتى ، كما  
 لو كان رجلاً يشعر بالراحة حيث هو ويأسف  
 لخروجه [ اقتربنى منى قليلاً ، يا مدام  
 فنيرون ] مدام فنيرون تقترب ، يضع ذراعه  
 تحت ذراعها [ انهضى ، يا جوديت ،  
 يفعل معها نفس ما فعله مع زوجته ] تعالين هنا



أيتها الفتيات . لو أطعت نفسي ،  
يا أحبابي الصغار للبست الروب  
« دى شامبر » من جديد وبقيت معكم  
في انتظار العشاء . ولكن من سوء  
الحظ أن العمل لا ينجز نفسه بنفسه ،  
وليس لدى دخل أعيش منه دون أن  
أضطر للعمل . وقد يأتي يوم أصبح  
فيه من ذوى الأملاك ، ولكن يجب  
أن ننتظر ، أولاً حتى يتم تشييد بيوتى ،  
وثانياً حتى يستقر جميع أولادى فى  
حياتهم . من كان يتوقع أن بلانش ،  
هذه الطفلة التى هى أصغر أخواتها ،  
ستدخل الحياة الزوجية قبلهن جميعاً ؟  
وعلى من سيأتى الدور يا ترى الآن ،  
على جوديت ؟ آه ، إن جوديت ليست  
بالفتاة التى يسهل تزويجها ، بل ستظل  
عانساً إلا إذا التقت بأمر . فليات  
هذا الأمير ، ليتقدم لطلب يدها ،  
وسأدفع — أنا — الثمن . أما أنت ،  
أيها الحبيث الذى يسمح لنفسه بالضحك  
كلما رآنى أتكلم ، فلماذا أترك لك

الحبل على الغارب حتى تستنفد كل  
 حماقاتك ، ولكن هذه الحال لن تدوم  
 طويلا . سأخذك معي في يوم قريب ،  
 وهناك ستبدأ بكنس المصنع ...  
 من أعلاه إلى أسفله ... حتى أروّضك  
 على العمل ، وبعد ذلك سأرى ما إذا  
 كنت تصلح لشيء . أما صغيرتي  
 ماري ، فإن حملها أخف منكم جميعاً .  
 لأنها ليست فتاة حاملة [ لجوديت ] مثلك .  
 ولا عاطفية [ لبلانش ] مثلك . وستزوج  
 شاباً طيب النفس صحيح البدن شجاعاً  
 صريحاً كفيلاً بتحمل مشاق العمل ،  
 شاباً يذكركم بوالدكم ، يوم لا يصبح  
 بينكم [ لزوجته ] ولن أتكلم عنك  
 يا زوجتي الطيبة ، فالمرء في سننا تقل  
 رغبته كما تقل حاجاته ، ويشعر  
 بالسعادة حين يرى أولاده سعداء .  
 ولست أظن أن هؤلاء الأطفال كانوا  
 يصبحون أسعد حالاً مما هم هنا ، لو  
 أنهم وجدوا في أي مكان آخر . فماذا  
 ينقصنا الآن ؟ أن يقوم الأب فنيرون

بمواصلة العمل بضع سنين ، لكي  
 يضمن لكل هذا العالم الصغير مستقبله .  
 وبعد ذلك يصبح له الحق في الاعتكاف  
 والراحة . والآن لي الشرف أن أحييكم .  
 إلى اللقاء ، يا والدى . قبلنى . إلى  
 اللقاء .

الأطفال

[ فنيرون يتخلص منهم ويسارع بالخروج ]

### المنظر الثانى

الأشخاص أنفسهم ما عدا فنيرون

مدام فنيرون : والآن يا أنساقى ، هيا إلى عمل زينتك  
 [ لبلانش ] أما أنت فسأستبقيك لحظة ،  
 لأن لدى بضع كلمات أريد أن أسربها  
 إليك . [ لمارى ] مرى بالمطبخ  
 يا طفلى ، وأوصى روزالى ألا تجلعلنا  
 ننتظر كثيراً ، حيثها على الإسراع .  
 إن عزيزتنا روزالى العجوز تحبنا كثيراً  
 ولكنها تبطئ دائماً في إعداد العشاء .  
 وأنت يا جستون ، دع أختك تذهب  
 إلى غرفتها ، وستتلقين درسك في  
 الموسيقى مرة أخرى .  
 [ حركات مسرحية تصحب خروج الأشخاص ]

## المنظر الثالث

مدام فنيريون — بلانش

مدام فنيريون

: اصغى إلى جيداً ، يا صغيرتي الحبيبة ،  
فليس لدى من الوقت ما يسمح لي بأن  
أحدثك طويلاً ، فاستفيدي من كل  
ما سأقوله لك ، ولا تقاطعيني ، إذ  
ليس في ذلك أية جدوى . الحقيقة أنه  
لا يروقي سلوكك ولا حركاتك ،  
حينما يكون خطيبك هنا . إنك تطيلين  
إليه النظر ، وتصدرين إليه شتى  
الإشارات بملامح وجهك ، فإذا  
نهض من مكانه نهضت أنت أيضاً ،  
وذهبتا إلى أحد الأركان المزوية  
وأخذتما في الحديث معاً . وهذا لا  
يرضيني بأية حال ، وبوجه خاص في  
هذا المساء حيث سيكون معنا بعض  
الغرباء ، طبعاً إذا كان السيد جورج  
يروقك ، وإذا كان كل منكما يحب  
الآخر ، فن حسن الحظ ، ما دمتما  
ستزوجان ، ولكنكما لم تتزوجا حتى



الآن . فإلى أن يتم زواجكما ، أريد منك أن تحتفظي أكثر من هذا ، وأن تحتفظي بعواطفك لنفسك كما هو شأن كل فتاة محافظة في مثل هذه الحال . لست في حاجة إلى البكاء . هذا ما أردت أن أقوله لك . امسحي عينيك ، وقبلي أملك ، واذهي لارتداء ملابسك . [ بلانش تغادر أمها ، ولا تكاد تصل إلى الباب الأيمن حتى يدخل أوجسط من باب القاع ويعلم قدوم مدام دي سان جيبي ، بلانش تتوقف ] اذهبي لارتداء ملابسك .

### المنظر الرابع

مدام فنيرون ، ودام دي سان جيبي

مدام دي سان جيبي : مساء الخير يا عزيزتي مدام فنيرون . هيا ، قبلي . فالتقبيل هنا أكثر من عادة ، إنه هوس ، فالكل يتبادلون القبيل كل خمس دقائق . أرجو ألا أكون قد أزعجتك بحضوري قبل الجميع .

مدام فنيرون : كلا يا سيدتي .

مدام دى سان جينى : ربما كان لديك بعض المشاغل .

مدام فنيرون : لا شيء مطلقاً .

مدام دى سان جينى : سأرفع قبعتى .

مدام فنيرون : أو أنا التى سأرفعها لك بنفسى .

مدام دى سان جينى : أمثالك من النساء اللاتى تستطيع الواحدة

منا أن تراهن كلها أرادت ، يا مدام

فنيرون ، وتستطيع أن تفاجهن فى

أية ساعة أصبحن نادرآت فى زمننا

هذا . فأنا لا أستطيع أن أخاطر بمثل

هذا الفضول لدى أخص صديقاتى .

مدام فنيرون : اجلسى ، يا سيدتى ، وكلمينى عن

صحتك أولاً وقبل كل شيء .

مدام دى سان جينى : حسنة جداً . على أحسن ما يرام . بل

أذكرك أنى لم أكن يوماً على مثل هذه

الحال من الصحة والعافية . وهذا ما قد

لاحظته اليوم ، وأنا أقوم بعمل زينتى

أمام المرأة ، فرأيت أن نصارة وجهى

وامتلاء جسمى قد عادا إلى من جديد .

مدام فنيرون : يحول بخاطرى منذ زمن طويل أن أوجه

إليك سوألا أظن أنه لا يضيرك فى

شيء إذا كنت أنا التي أوجهه إليك .

ما سنك يا سيدتي ؟

مدام دي سان جيني : أنا لا أخفي سني مطلقاً ، يا سيدتي

العزيزة . وحتى لو أردت ذلك لما

استطعت ، فها هو ذا ابني يشهد بسني

أمام الجميع ، إنه سيبلغ الثالثة

والعشرين من عمره بعد أيام . وكنت

أنا في السابعة عشرة من عمري حين

وضعت ، فتستطيعين أنت بنفسك أن

تحسبي هذه العملية البسيطة .

مدام فنيرون : أرجو أن تغفري لي هذا الفضول .

مدام دي سان جيني : إنه أمر طبيعي جداً بين عجائز النساء

أمثالنا .

مدام فنيرون : ألا ترين ، يا سيدتي ، أننا أمّان

متهورتان ، أنت بموافقتك على زواج

هذا الشاب الصغير الذي لم يبلغ الثالثة

والعشرين من عمره ، وأنا بإعطائه

ابنتي .

مدام دي سان جيني : اطمئني ، يا عزيزتي مدام فنيرون .

إن جورج كان خاضعاً لي تمام الخضوع

حتى الآن . وأنتوي أن أستمري في قيادة

زمامه بعد الزواج أيضاً . لقد رببت  
ابنى تربية قاسية جداً . ولذلك لا يوجد  
من أمثاله إلا القليلون ، كما سبق أن  
قلت لك فيما أعتقد . فهو لم يستدن  
قط ، ولم يضيع وقته مع النساء ، وهذا  
أيضاً من أندر الأمور . ومع ذلك فأنا  
شخصياً أعرف بعض النساء اللاتي  
كانت أغلى أمانيهن تنحصر في الاتصال  
به . لا شك في أن ابني قد تربى تربية  
كاملة . إنه يتكلم ثلاث لغات ،  
ويتقن الموسيقى وينتمى إلى أسرة  
عريقة ، ويتمتع بأحلى السجايا ،  
ويعتصم بمبادئ الدين ، فإذا لم يوصله  
ذلك كله إلى أرفع المناصب ، كان  
معنى ذلك أن العالم قد تغير [ تدير من  
لهبتها ] وبهذه المناسبة ، قولى لى ،  
ما دام الكلام قد تطرق إلى جورج  
الذى يتجه إليه كل اهتمامى فى الحياة ،  
كنت قد طلبت إلى موثق العقود أن  
يتدارك سهوا وقع فى العقد ، فهل  
لدى زوجك علم بذلك ؟



مدام فنيرون : ليس في استطاعتي أن أجيبك على هذا السؤال .

مدام دي سان جيني : لعلك تذكرين أن السيد فنيرون كان قد حدد مهر الأنسة بلانش بمائتي ألف فرنك ، ثم طلب إلينا بعد ذلك أن يدفعها على أقساط سنوية .

مدام فنيرون : الأمر على العكس من ذلك ، يا سيدتي . إن زوجي أعلن ، قبل كل شيء ، أنه يحتاج لبعض الوقت لكي يدفع مهر ابنته . وحينئذ تحدثت أنت معه عن بعض الضمانات ، أن يرهن لك منزله التي في سبيل التشديد ، ولكنه رفض ، وأخيراً ، اتفقنا في آن واحد على المبلغ وعلى التفاصيل .

مدام دي سان جيني : ليكن ! ولكن أعتقد أنه من العدل ومن الطبيعي أن يمنح العروسان ربحاً قدره خمسة في المائة أو ستة في المائة ، إذا قبل السيد فنيرون تحديده بستة ، وأن يستمر حصولهما على هذا الربح حتى يقبضا المبلغ كله . هذا ، وإذا كان السيد فنيرون قد قبل عن طيب

خاطر كل طلباى السخيفة فيما يخص  
تحرير العقد ، فلا أظن أنه سيرفض لى  
هذا الطلب أيضاً . على كل حال  
لنتكلم فى موضوع آخر لتكلم عن  
مأدبة العشاء التى ستقيمونها هذه الليلة .  
هل سيكون لديكم كثير من المدعوين ،  
ومن هم ؟

مدام فنيرون : شاهداكم أولا ، وشاهدانا ، والمعلم  
الذى يقوم بتدريس الموسيقى لابنتى  
الكبرى . . .

مدام دى سان جينى : آه ! أدعوتموه ؟ . . .

مدام فنيرون : نعم ، يا سيدتى ، دعونا هذا الشاب  
بطبيعة الحال أنا أعرف أنه فنان ،  
ولكن هذا بالضبط ما أردنا أن نتجنب  
إشعاره به .

مدام دى سان جينى : اسمعى ، يا مدام فنيرون ، ربما  
تجدين أنى أتدخل فيما لا يعينى ،  
لكن لو كنت مكانك لاكتفيت  
باستقبال السيد مركنس اليوم فقط ،  
ولقطعت علاقتى به منذ الغد .

مدام فنيرون : لماذا ، يا سيدتى ؟ إن ابنتى لم تشك

منه قط ، لا منه ولا من دروسه .

مدام دى سان جينى : إذن ، افرضى أنى لم أقل شيئاً حول  
هذه المسألة . من أيضاً سيكون على  
المائدة ؟

مدام فنيرون : السيد تسييه ، وليس هناك مدعوون  
آخرون .

مدام دى سان جينى : وأخيراً سأعرفه ، هذا السيد تسييه  
الذى كثيراً ما سمعت عنه دون أن  
أراه . [ تنهض واقفة وتوقف معها مدام  
فنيرون بلطف ] . لماذا لا نرى مطلقاً  
شريك زوجك يا سيدتى ؟  
مدام فنيرون : بناتى لا يحببته .

مدام دى سان جينى : ليست بناتك هن اللاتى يحكن البيت .  
وأعتقد أن السيد فنيرون لا بد أن  
يتجاوز عن هذه الأفكار الصبيانية من  
جانبهن لكى يستقبل شريكه .

مدام فنيرون : ولكن هذين السيدين يرى كل منهما  
الآخر فى المصنع كل يوم تقريباً ،  
وهما إذا انتهيا من الكلام على أعمالهما  
لم يجدا ما يتحدثان عنه بعد ذلك .

مدام دى سان جينى : لنتكلم بصراحة ، يا عزيزتى مدام

فنيرون ، أنا لا أسيء استعمال سر  
اوتمنت عليه ، ولكن أعتقد أن لي  
الحق في ذلك ، إذا كنت أنا التي  
اكتشفته . اعترفي بأنك أنت التي  
تغلقي الباب في وجه السيد تسييه  
لسبب من الأسباب .

مدام فنيرون : أنا يا سيدتي ! إنك واهمة . فأولا أنا  
أفعل هنا كل ما يراودني أن أفعله . .  
ثم إنني إذا كنت لا أشعر بأية مودة  
نحو السيد تسييه ، فلن لا أكن له أي  
بغض .

مدام دي سان جيبي : إنك لا تحسن نحوه بميل خاص .  
مدام فنيرون : نعم ، هذا هو التعبير الصحيح .  
مدام دي سان جيبي : إذن فاسمح لي أن أصفك إما بقصر  
النظر وإما بالإفراط في العزوف عن  
المنفعة . إن السيد تسييه رجل واسع  
الثراء ، أليس كذلك ؟

مدام فنيرون : نعم .  
مدام دي سان جيبي : وقد تجاوز الستين من عمره ؟  
مدام فنيرون : منذ زمن طويل .  
مدام دي سان جيبي : وليس له زوجة ولا أولاد ؟



مدام فنيرون : لا زوجة ولا أولاد .

مدام دي سان جيبي : ولا يعرف أن له خليله ؟

مدام فنيرون : خليله ! للسيد تسييه ؟ ماذا يفعل بها ،  
يا إلهي ؟

مدام دي سان جيبي : لا تضحكي ، وأنصتي إلى بنفس

الجدية التي أكلملك بها . إذن ففي يدك

من هذه الناحية ، تركة طائلة ، تركة

خالية وشيكة من الممكن أن توول

إليك بطريقة لائقة ودون أن تحرمي

منها أحد ، ألا تغريك هذه التركة ؟

نعم ، إما أن هذه الثروة لا تغريك وإما

أنك تجددين أن الحصول عليها بالإفراط

في الزلفى إلى رجل هرم والتظاهر

بالعطف عليه يعتبر ثمناً باهظاً لها .

مدام فنيرون : لا شك أن ملاحظتك في غاية الواجهة ،

يا سيدتي ، ولكنها لم ترد بخاطر أحد

منا حتى الآن . وستعرفين السبب .

ذلك أن مركزنا لا بد أن يتأثر بسبب

هذا المسلك ، ولا بد أن يصاب

زوجي في عزته ، ونحن في سعادتنا ،

إذ أحسنا أننا ندين بشيء ما إلى

شخص غريب عنا . ولكن هذا  
 الاعتبار لا ينطبق عليك ، إذ لا شيء  
 يمنعك ، بعد أن يتم زواج طفلينا ، من  
 القيام ببعض المحاملات نحو تسييه .  
 فإذا أتت ثمارها فخير وبركة . إذا  
 رأى السيد تسييه أن الزوجين الشابين  
 جديران باهتمامه فلن ساطير فرحاً  
 حين أرى بلانش وزوجها يصيبان  
 بعض الخير من هذه الجهة ، بل لعل  
 أذهب إلى أبعد من ذلك ، فأقول :  
 إذا كان السيد تسييه قد سئم العيش  
 وحده ، كما ينبغي أن يقع لمن في  
 سنه ، واستسلم لسمو روحك وسحر  
 جمالك ، فلن سأكون في غاية  
 الانشراح أن أراك تعقدين معه زواجا  
 لا يخلو من الأضرار بالنسبة إليك ،  
 ولكنه أيضاً لا يخلو من مزايا عظيمة .  
 أنت مخطئة جداً ، يا مدام فنيرون ،  
 وأرى أنك لا تعرفين الرجال جيداً .  
 فالسيد تسييه لا يعتبر ، عند الضرورة ،  
 هرما بالنسبة إلى ، ولكني أنا التي لم

أعد شابة بالنسبة إليه .

أوجسط : [ داخلا ] لقد حضر السيد مركنس ،

يا سيدتى ، فهل أصحبه إلى هنا أم إلى

الصالون الآخر ؟

مدام فنيرون : ماذا تفضلين ، يا سيدتى ، أن تبقى

هنا وتستقبلي السيد مركنس ، أم أن

تصحبنى وأنا أقوم بعمل زينتى ؟

مدام دى سان جينى : كما تريدن .

مدام فنيرون : تعالى معى . سأريك بعض الأشياء التى

اشتريتها ، وأريد أن أعرف رأيك فيها

مدام دى سان جينى : بكل سرور .

مدام فنيرون : أدخل السيد مركنس ، وارجع أن

ينتظر لحظة .

[ تخرجان من الباب الأيسر ]

### المنظر الخامس

أوجسط ومركنس ( ومعه لفافة من الورق )

أوجسط : ادخل ، يا عزيزى السيد مركنس .

ليس هنا الآن إلا أنا حتى يحين وقت

استقبالك .

مركنس : حسن جداً . اذهب إلى شغلك ،

يا أوجسط ، فلست أريد أن أحتجزك  
معى . [ وهو يسير متجها إلى مقدمة المسرح ]  
يا له من طفل ساذج ، هذا الخادم ..  
إنه لا يطاق .

أوجسط : [ لاحقاً به ] لا دروس اليوم ، لقد  
جئت ملء الكرش .

مركنس : هل الآنسة جوديت ترتدى ملابسها ؟

أوجسط : لعلها ترتدى ملابسها . ولكنك تعرف  
أنها لا تكاد تبدأ اللبس حتى تكون  
قد انتهت منه .

مركنس : أخبر الآنسة جوديت بأنى هنا ، وأنى  
قد أحضرت لها قطعة الموسيقى التى  
تنتظرها . [ جوديت تدخل ]

أوجسط : ماذا كنت أقول لك ؟ [ لجوديت ]  
الآنسة لم تستغرق وقتاً طويلاً فى عمل  
زينتها ، ولكنها أحسنت عملها .

جوديت : شكراً ، يا أوجسط .  
[ يخرج حاملاً معه الروب « دى شامبر » الخاص  
بفينيرون ]



## المنظر السادس

مركنس ، جوديت

مركنس : لقد سرق منى خادمتكم كلمة المديح

التي كنت أريد توجيهها إليك ، فلم أعد أجد ما أقوله .

جوديت : لا تحاول أن تقول شيئاً . لا جدوى لذلك .

مركنس : [ وهو يريها لفافة الورق التي كتبت فيها قطعة

الموسيقى ] هذا هو إنتاجك ، يا آنسة . هاتها .

مركنس : اسم المؤلف غير موجود ، ولكن لا زال يمكنني أن أوصي بوضعه .

جوديت : حذار أن تفعل .

مركنس : أنت مسرورة ؟

جوديت : إني حائرة ، لأنني أعرف أن أسرق ،

ولا سيما والدتي ، لن تنظر إلى هذا

العمل بعين الرضا ، وإن مؤامرتنا

الصغيرة هذه لن تعجبها .

مركنس : أكرر ما سبق أن قلته لك عن هذه

القطعة ، إنها ممتازة وممتعة ، وإن

كانت حزينة نوعاً ما ، فلعلك كنت  
مزكومة في ذلك اليوم . وقد طبعناها  
لأنها تستحق الطبع ، أما ما عدا ذلك  
فلا أهمية له .

: يجب أن نتفاهم فيما بيننا ، يا سيد  
مركنس ، سأؤجل إظهار تأليفي أو  
سأمتنع عن ذكر أى شيء عنه .  
: لماذا ؟

جوديت

مركنس

: يحسن بفتاة في سنى أن تعتصم بالهدوء ،  
وآلا تسمح لنفسها بتلك المظاهرات  
التي لا تليق بالفتيات ، هذه هي  
أسلم الطرق .

جوديت

: الفتيات اللائي أعرفهن لا يعبان بذلك  
: هذا سبب آخر لتمسكي بما أريد

مركنس

جوديت

[ تفتح اللقطة وتقرأ عنوان القطعة بعنوان ]

« وداعاً ، أيتها العروس » . إذا

كانت هذه القطعة حزينة بعض الشيء

فلا تدهش لذلك . لقد كنت شديدة

التأثر حين كتبتها . كنت أفكر في

أختي الصغيرة التي نحبا بكل جوارحنا

والتي ستغادرنا بهذه السرعة . إننا

نعرف ماذا ستفقد ، ولا نعرف  
ماذا ينتظرها .

مركنس : أجيبي بصراحة : هذا الزواج ، ألم  
يسبب لك شيئاً من خيبة الأمل ؟

جوديت : مطلقاً . ماذا تعني بذلك ؟

مركنس : كانت أمام السيد دي سان جيني حرية .

الاختيار حينما حضر هنا . فكان في

وسعه أن يطلب يد الكبرى بدلا من

الصغرى .

جوديت : لو حدث ذلك لكان خسارة فادحة .

فأختي وهذا الشاب يشكلان معا

زوجين مثلائين ساحرين . أما نحن

فلا يلائم أحدا صاحبها بأية حال .

مركنس : لا تقلقي ، ففرصتك آتية لا ريب  
فيها .

جوديت : إن ذلك لا يشغل بالي .

مركنس : ومع ذلك فأنت تتمنين الزواج ، إلى

حد ما .

جوديت : بعد أطول وقت ممكن . إنني أجدني في

غاية السعادة على هذه الحال ، ولذلك

لا أفكر في التغيير .

- مركنس : التأليف الموسيقى يكفيك .
- جوديت : يكفيني ، هذه هي الحقيقة .
- مركنس : من سوء الحظ أن يرى الإنسان فتاة جميلة مثلك ، مفعمة بالموهب ثم ينقصها أمر بسيط لكي تشرع في الإنتاج .
- جوديت : وما هذا الأمر البسيط ؟
- مركنس : روح القلق والحركة .
- جوديت : لو سمعتك أُمي في هذه اللحظة لغضبت لأنها تجدني متمردة حتى في حالتي الراهنة .
- مركنس : معنى ذلك أنها تؤنبك في بعض الأحيان .
- جوديت : نعم ، في بعض الأحيان . ولكن أخطر من ذلك أنها تغلق البيانو بالفتاح حينما تغضب ، وتتفق مع والدي على حرماننا من الذهاب إلى الأوبرا .
- مركنس : وأين تذهبون في هذه الحال ؟
- جوديت : إلى السيرك . ولكني لا ألوم والدي على ذلك . إنها تعتقد أن الأوبرا تضرني ولعلها ليست مخطئة — فالحقيقة أن هذه المشاهد الرائعة وهذه المناظر



الأخاظة وأولئك المغنيات الفاتنات ،  
كل ذلك يستولى على مشاعري ،  
ولا أستطيع البرء منه تماماً إلا بعد  
ثمانية أيام .

مركنس : لأنهن معدودات ، أولئك المغنيات  
الفاتنات .

جوديت : كلهن فاتنات بالنسبة إلى .

مركنس : لعلك تغبطينهن .

جوديت : لأنهن يخلبن لبي .

مركنس : اعملى مثلهن .

جوديت : ماذا تقول ! أترى يا سيد مركنس ،

أننى أهل للاشتغال بالمرسح !

مركنس : ولم لا ؟ إن أصوات الكنتراثلثو فى غاية

الندرة ، وذلك ما يضيف على صوتك

قيمة أخرى فوق قيمته . ولديك

البهاء ، والحماس الملهب ، والروح ،

الروح بوجه خاص ، الروح الفياض .

ولا شك أن العالم لن يبكى من أجل

فقدانه إحدى البرجوازيات ، ولكنه

سيضطرب لازدياد عدد الفنانات واحدة

جوديت : حسن جداً . كفى كلاماً فى هذا

الموضوع . سأكتفى بدروسك التي  
تبدو لي خيراً من نصائحك . أنت خال  
من الأعمال هذه الليلة ؟ أتستطيع أن  
تبقى معنا قليلاً بعد العشاء ؟

مركنس : بعض الوقت . وما زلت أطمع في  
سماع قطعتك الموسيقية .

جوديت : كذلك أرجو أن تعزف لنا بعض  
الموسيقى .

مركنس : لا تطلبي مني ذلك . فأنت تعرفين أنني  
لا ألبأ معك إلى التكلف مطلقاً وأن  
ما على ألسنتنا هو نفس ما في قلوبنا .  
والواقع أنني حينما أتكلم أعجب السامعين  
وأسرى عنهم ، ولكن موسيقي لا  
تشبه حديثي بأية حال .

جوديت : سزرقص .

حقاً !

مركنس

جوديت : نعم ، سزرقص . هذه رغبة بلانش .

طبعاً يجب أن تراقص خطيبها مرة  
واحدة على الأقل قبل الزواج . ثم إن  
جاستون يحتفظ لنا بمفاجأة . فقد أقسم  
أن يشارك والده في إحدى الرقصات ،

وقال إنه لن يستطيع أحد أن يميز  
أحدهما من الآخر .

مركنس : كيف ذلك ؟

جوديت : سترى . لعلك لا تعرف أن أخى يقلد  
والدى إلى حد الكمال . يقلده فى  
صورته ، وفى حركاته وإشاراته ،  
وفى طريقة مزاحه ، بل تراه فى هذه  
اللحظات يفكر مثله ، إن هذا لغريب  
حقاً .

مركنس : يبدو أننا أمام حفل ممتع . أشكرك من  
صميم قلبى على احتجازى .

جوديت : لا تسخر ، يا سيدى الفنان . لى  
أتخيل ، وإن كنت لا أعرف ذلك عن  
بيئة ، أن كثيراً من اجتماعاتكم  
لا تساوى الضجة التى تثيرونها حولها ،  
فهى أيضاً لا تخلو مما يثير السخرية  
منها ، بل ربما أكثر من ذلك . أما  
لدينا فستستمتع بهذه الميزة ، وهى  
أنك لدى أناس طيبين .

[ تدخل مدام دى سان جيى ومام فنيرون ]

## المنظر السابع

الأشخاص أنفسهم يزيد عليهم مدام

دى سان جينى ومدام فنيرون

مدام دى سان جينى : [ لنفسها ] كنت واثقة تماماً أننا سنجدهما

معاً . [ جوديت تذهب إليها ، تستقبل كل

منهما الأخرى بكل مودة ]

مدام فنيرون : [ وقد بدت في زينة صارخة ، وتحلت بكثير

من الحل ]

لا تؤاخذنى ، يا سيد مركنس ، إذا

كنت قد تأخرت ، فالنساء لا ينتهين

من ارتداء ملابسهن قط . أتعجبك

زينتى ؟

: إنها تبهرنى .

مركنس

: ربما كانت الحلى أكثر مما ينبغى ، وقد

مدام فنيرون

نصحتنى مدام دى سان جينى بتركها .

: لماذا ، يا سيدتى ؟ إن أميرة لبييرانى

مركنس

كانت تزين بحلى يبلغ ثمنها ثلثمائة ألف

فرنك في حفل العشاء الذى أقامته

بالأمس .

: ثلثمائة ألف فرنك ! إذن كان يجب أن

مدام فنيرون

أضع كل ما عندى .

[ تدخل مارى وبلانش ]



## المنظر الثامن

الأشخاص أنفسهم ، وكذلك مارى وبلائش

مدام فنيرون : [ ذامبة إلى جوديت ] إن والدك قد مكث معنا وقتاً طويلاً ، ولذلك لن يكون هنا لاستقبال ضيوفه .

بلائش : [ لمدام دى سان جينى ] لماذا لم يأت ابنك معك ؟

مدام دى سان جينى : جورج فى عمله ، يا بنيى ، ولا تظنى أنى أنا التى أعوقه عن أداء واجباته .

بلائش : الآن لم يصبح عليه إلا واجب واحد ، وهو أن يحبنى كما أحبه .

مدام دى سان جينى : هذا الواجب فى غاية اليسر ، ولا ينبغي أن ينسيه واجباته الأخرى .  
أندرك بأننا ستنضارب معاً بالأيدى ، إذا أفسدت لى ولدى .

مدام فنيرون : [ لمدام دى سان جينى ] أظن أن شاهدى السيد جورج سيأتيان مصطحبين .

مدام دى سان جينى : [ فى شيء من الحيرة ] كلا ، إن السيد لونرمان وولدى سيفادران المكتب معاً ليتجها إلى هنا . أما الجنرال فإنه

سيأتى وحده . الحقيقة أن الجنرال  
والسيد لونرمان يعرف كل منهما  
الآخر ، إذ أنهما التقيا عندى ، ولكنى  
لم أرد أن أوثق الصلة بينهما أكثر من  
ذلك .

[أوجسط يعلن : السيد تسييه ]

### المنظر التاسع

الأشخاص أنفسهم ، وتسييه

تسييه : أنا خادمك ، يا سيدتى .

مدام فنيرون : أعطنى قبعتك ، يا سيد تسييه ، حتى  
أخلصك منها .

تسييه : دعها ، يا سيدتى ، فسأضعها أنا نفسى  
حتى يسهل على العثور عليها بعد ذلك .

مدام فنيرون : كما تشاء . تفضل بالجلوس هنا ، فى  
هذا المقعد المريح .

تسييه : فيما بعد . الجو بارد جداً فى الخارج  
وحار جداً هنا ، فسأقف بعض الوقت  
حتى أعتاد جو « صالونكم » .

مدام فنيرون : أنت مريض ؟

تسييه : بل أتجنب بقدر الإمكان أن أصاب  
بالمرض .

مدام فنيرون : كيف تجد صحة زوجي منذ بعض الوقت ؟

تسليه حسن : حسن جداً . إن فنيرون أصبح الآن يستسلم للأوهام بعد أن انقلبت حاله إلى يسر . وهو على حق ، لأن الإنسان يزداد قيمة إذا ملك شيئاً من الثروة . اذهبي إلى ضيوفك ، يا سيدتي ، وسأنتظر أنا في أحد الأركان حتى يحين موعد العشاء .  
[ يتركها ]

مدام فنيرون : [ ذاهبة إلى مدام دي سان جيبي ] نعم ، هذا هو السيد تسليه ، فما رأيك ؟

مدام دي سان جيبي : إن له عيني ثعلب وفم قرد .

[ أوجسط يعلن : السيد بوردون ]

مدام فنيرون : كنت قد نسيت أن أخبرك بأن موثقنا سيتناول العشاء معنا الليلة .

### المنظر العاشر

الأشخاص أنفسهم ، وبوردون

بوردون : أقدم لك تحياتي ، يا سيدتي . آتساقى ....

[ تحيات ]

مدام فنيرون : [ وهي تقدم الحاضرين إلى السيد بوردون ] مدام

دى سان جينى ، السيد مركنس الذى  
يدرس الموسيقى لابنتى الكبرى . أنت  
من أوائل الذين حضروا إلينا ، يا سيد  
بوردون ، وهذا من لطفك .  
[ بوردون ينحن ]

مدام دى سان جينى : السيد بوردون يلقى بذلك درساً على  
زملائه الذين لا يستطيعون الفخر ، على  
وجه العموم ، بدقة مواعيدهم .

بوردون : نعم ، إننا نترك الآخرين ينتظروننا فى  
بعض الأحيان ، ولكن ذلك لا يحدث  
فى المآدب قط .

[ يقترب من مدام دى سان جينى ] كُلفت ،  
يا سيدتى ، بأن أحمل لك الكثير من  
التحيات .

مدام دى سان جينى : من السيد تستلان ، فى أغلب الظن .

بوردون : بالضبط . كنا نتكلم عن زواج الآسة .

فنيرون من السيد نجلك ، وقلت له  
إنى سأحظى بشرف العشاء معك ،  
فقال : « سترى سيدة ساحرة ، أحمل  
إليها أطيب تحياتى »



مدام دى سان جينى : السيد تستلان موثق عقودى منذ  
عشرين عاماً .

بوردون : هذا ما قاله لى . [ يقترب أكثر وبصوت  
أكثر انخفاضاً ] السيد تستلان فى غاية  
الظرف ، ولا يستطيع المقاومة أمام  
السيدات الجميلات .

مدام دى سان جينى : [ بجفاف ] هذه أول مرة أسمع فيها  
هذا الكلام .  
[ تراكه ، يبتسم ]

بوردون : [ لمدام فنيرون ] : أليس السيد تسييه  
ممن سيتناولون العشاء معكم ؟

مدام فنيرون : [ وهى تريه وتسييه بإشارة من يدها ] : إنه  
هناك ، إذا كنت تريد أن تكلمه .

بوردون : مساء الخير ، يا تسييه .  
: آه ! أهو أنت يا بوردون ! اقترُب

قليلاً وأرهف أذنيك . [ بصوت منخفض ]

لقد ذهبت اليوم ، يا صديقى ، إلى

غرفة الموثقين حيث كانت لى مسألة

هناك . وكنت أكلم الرئيس عن

العلاقات القديمة التى تربطنى بك ،

فأطنب ، هو الآخر ، فى الحديث

عنك وقال :

« أنا أعرفه جيداً ، إنه مثال الذكاء ،  
وهو داهية ، داهية كبير ، ويعرض  
نفسه للمخاطر في بعض الأحيان ، وقد  
نرى أنفسنا مضطرين إلى أن نتخذ  
ضده بعض الإجراءات » .

بوردون

: أنا لا أبالي بغرفة الموثقين . لأنهم هناك ،  
حوالي عشرين من التافهين والمتغطرسين  
الذين يريدون من الغرفة أن تلعب  
دوراً يختلف عن دورها كل الاختلاف .  
فالواقع أنها وجدت لحمايتنا ، لا  
لحماية الجمهور منا .

تسييه

: افهمنى جيداً ، يا بوردون . أنا لم أنقل  
إليك هذا الحديث لكي أمنعك من  
مباشرة أعمالك . وإنما رأيت من الخير  
لك أن أحذرك .

بوردون

: هذا ما فهمته ، يا عزيزى تسييه ،  
وأشكرك عليه بكل الشكر .

[ أوجسط يعلن : السيد لونورمان ، السيد  
جورج دى سان جيئى ]

مدام دى سان جيئى : [ لمدام فنيرون ] : سأقدم لك السيد

لونورمان

[ هذا التقديم ، والتقديم التالى يحدثان في قاع

المسرح ، جورج وحده يتقدم أمام المسرح ]

## المنظر الحادى عشر

الأشخاص أنفسهم ، ثم لونورمان  
وجورج ثم الجنرال فرومنتان

- يلانش : [ لجورج بصوت منخفض ] : لا تكلمنى  
ولا تقترب منى . إن أمى قد ألفت على  
درساً . ولم أكن أعرف مقدماً ماذا  
ستحدثنى عنه ، فاعترانى خوف شديد  
[ أوجسط يهلمن : السيد الجنرال فرومنتان ]  
بوردون : أنت عازف بيانو ، يا سيدى ؟  
مركنس : مؤلف موسيقى ، يا سيدى .  
بوردون : أنت موسيقى على كل حال ، وهذا  
ما أردت أن أقوله . هل تحب  
الاجتماعات ؟  
مركنس : ليس فى مقدورى إلا أن أذهب إليها ،  
الناس يتخاطفوننى .  
بوردون : أرجو لو احتفظت باسمى فى ذاكرتك  
السيد بوردون ، موثق عقود ، ٢٢  
شارع سانت آن . وأنا أستقبل  
أصدقائى فى مساء أيام الآحاد . يصل  
الوافدون فى الساعة التاسعة ، فنعرف

بعض القطع الموسيقية ، وقد يقوم  
 البعض بغناء إحدى الأغاني العاطفية ،  
 وتتناول فنجاناً من الشاي ، وقبل  
 منتصف الليل يكون كل شيء قد  
 انتهى .

مركنس : لا أستطيع أن أعدل بالحضور كل  
 يوم أحد .

بوردون : على كل حال يسرنا دائماً أن نراك  
 بيننا ، فاحضر حينما تريد .

[ أوجسط يعلن : السيد فنيرون ]

مدام دي سان جيني : [ لمدام فنيرون ] : كيف يأتني ،  
 يا سيدتي ، أن يعلن زوجك عن  
 حضوره في بيته ؟

مدام فنيرون : لا شك أن الخادم هو الذي أخطأ .

[ يدخل جاستون مرتدياً الروب « دي شامبر »

الذي كان يرتديه والده في المنظر الأول ، ويقلده

في صوته ومشيته ]

## المنظر الثاني عشر

الأشخاص أنفسهم وجاستون

جاستون : [ ذاهباً إلى مدام دي سان جيني ] : كيف

حال مدام دي سان جيني الجميلة ؟



مدام دى سان جينى : [مستجبة للمزاح] : على ما يرام ،  
يا سيد فنيرون ، أشكرك .

جاستون : [مواصلا مزاحه] : ياسيد بوردون ، أنا  
خادمك . [لمركس] مساء الخير ، أيها  
الشاب . [للنورمان والجنرال] أنا سعيد ،  
أيها السادة ، بمعرفتكم .

مدام فنيرون : ألا ترون ، أيها السادة ، أنه من الخطأ  
تدليل الأطفال ؟ إن هذا الغلام يسخر  
من والده .

جاستون : [لمدام فنيرون] : نعم ما أخبار هذا  
العشاء يا زوجتي الطيبة ؟ آه ! طبعاً !  
لقد جهزنا من أجلكم كل ما للـ  
وطاب ، فالمرء لا يزوج ابنته كل  
يوم . [لأخواته] من منكن التى  
ستزوج ؟ لم أعد أتذكر . أعتقد أنه  
يجدر بالآنسة جوديت - حتى يتم  
إعداد العشاء - أن تفتح البيانو  
وتسمعنا شيئاً ، قطعة السيدة البيضاء  
مثلاً .

مدام فنيرون : هيا ، يا جاستون ، كفاية . انزع .

هذا الروب « دى شامبر » ، واطهر  
بالمظهر اللائق .

جاستون : نعم ، يا زوجتى الطيبة .  
[ أخوات جاستون ينزعن عنه الروب « دى  
شامبر » وهن يضحكن معه . مرح شامل ]

### المنظر الثالث عشر

الأشخاص أنفسهم ، وأوجسط ثم الطبيب

أوجسط : [ مقرباً من مدام فنيرون ] هناك سيد  
جاء لأمر آخر غير العشاء ، ويريد أن  
يتكلم مع سيدتى .

مدام فنيرون : أى سيد ، يا أوجسط ؟ أهو مزاح  
جديد من تدبير ابنى ؟

أوجسط : سترى سيدتى أن الأمر غير ذلك ،  
إذا أمرتنى بإدخاله .

مدام فنيرون : لا تسمح لأحد بالدخول . أخبر هذا  
السيد بأنى لا أستطيع استقباله .

أوجسط : وإذا كان يصر ، يا سيدتى ؟

مدام فنيرون : اطرده .

أوجسط : [ عائداً ] ها هوذا ، يا سيدتى .

الطبيب : وهو يتقدم : أنت مدام فنيرون ؟

مدام فنيرون : نعم ، يا سيدى ؟  
الطبيب : [ يقترب أكثر وبصوت أكثر انخفاصاً ] ألدبك  
أولاد هنا ، يا سيدتى ؟

مدام فنيرون : نعم ، يا سيدى .  
الطبيب : أبعديهم . افعلى ما أقوله لك ، يا سيدتى  
وبغاية السرعة .

مدام فنيرون : [ مضطربة ، وبانفعال ] اذهبن إلى الصالون  
الآخر ، يا آنسات . هيا ، اسمعن  
ما أقوله لكن ، اذهبن إلى الصالون  
الآخر . جاستون ، اذهب مع  
أخواتك يا بنى . أرجو لو تتكرمين  
يا مدام دى سان جينى ، بمصاحبة  
بناتى .

[ فتحت الباب الأيمن وجعلتن يدخلن منه أمابها ]  
الطبيب : [ للرجال الذين نهضوا من أماكنهم ] تستطيعون  
البقاء ، أنتم ، أمها السادة ، أنتم من  
أقارب السيد فنيرون ؟

بوردون : كلا ، يا سيدى ، من أصدقائه  
فحسب .

الطبيب : أمها السادة ، لقد أصيب صديقكم  
المسكين بسكتة قلبية خاطفة .

[ يحضر فنيرون إلى قاع المسرح ، مدام  
فنيرون تطلق صرخة وترمى على جثة زوجها ]

## الفصل الثاني

الديكور ذاته

المنظر الأول

مدام فنيرون ، و مدام دي سان جيني

مدام فنيرون : [ باكية ومتديها في يدها ] لا تؤاخذيني ،

ياسيدي ، فأنا في غاية الحجل أن أبكي

أمامك على هذا النحو ، ولكني لا

أستطيع السيطرة على دموعي ، ولا

سبباً حين أفكر أنه كان هنا منذ شهر ،

ويجلس في المكان الذي تجلسين فيه .

لقد عرفته ، يا سيدتي ، كان زوجي

رجلاً طيباً إلى أقصى حد ، سعيداً

إلى أقصى حد ، ونحن أيضاً كنا

سعداء . فلم يكن من طبيعة الأمور أن

تستمر على هذه الحال . كلميني ،

يا سيدتي ، سأحاول أن أثوب إلى

نفسي بالإنصاف إليك . وإني أعرف



جيداً أنه ينبغي لي أن أخضع لسلطان العقل . نعم ، أنا أعرف أنه كان لابد أن يموت يوماً من الأيام ، ولكني كنت كثيراً ما أدعو الله أن يجعل يومى قبل يومه . ألا تعتقدن يا سيدتى ، أن السيد فنيرون قد ذهب إلى الجنة ، حيث يذهب أمثاله من الشرفاء ؟

مدام دى سان جيئى : كوفى واثقة من ذلك ، يا سيدتى .  
مدام فنيرون : ما أخبار نجلك ؟ إنى لم أكد أره منذ حلول هذه الكارثة . لا شك أنه شخص طيب ، هو الآخر ، فقد أخبرتنى بلانش أنه بكى .

مدام دى سان جيئى : جورج على ما يرام ، شكراً لك .  
مدام فنيرون : مسكينان هذان الطفلان المتحابان ، لقد قضى عليهما بتأجيل زواجهما .

مدام دى سان جيئى : الواقع أنى كنت أريد أن أحدثك عن هذا الزواج ، لو أنى وجدتك فى حالة طبيعية . ولكنك لا تسلكين سبيل العقل والشجاعة ، يا عزيزتى مدام فنيرون . أنا أيضاً أعرف معنى فقدان

الزوج ، لأنى جربته ، بل لقد كنت  
أحق منك بالثناء ، إذ توفى السيد  
دى سان جينى ولم يترك لى إلا الديون  
وطفلا فى الرابعة من عمره بين ذراعى  
أما أنت فبناتك كبار تستطيعين أن  
تجدى فيهن بعض العزاء ، وقد زال  
عنك هم تربيتهن ، كما أن المستقبل  
ممهد أمامك وأمامهن . [ مفيرة نعمتها ]  
بطبيعة الحال لم تستطعى ، فى الحالة  
التي أنت فيها ، أن تفكرى فى  
مصالحكم .

مدام فنيرون : أى مصالح ، يا سيدتى ؟  
مدام دى سان جينى : يجب أن تفكرى فى أيلولة تركة السيد  
فنيرون التى لا يمكن أن تحل نفسها  
بنفسها . فهناك أمور لا بد من  
تسويتها ، وربما كانت هناك مشاكل  
يجب التغلب عليها .

مدام فنيرون : كلا ، يا سيدتى ، لا توجد أية مشكلة  
لقد كان زوجى أشرف من أن يعالج  
أعمالا مشكلة .

مدام دى سان جينى : قد تصبح كذلك بعد موته . إلهمنى

جيداً ، يا سيدتى . أنا لا أشك فى أمانة  
السيد فنيرون ، ولكن أشك فى أمانة  
غيره . ألم يتحرك السيد تسييه بعد ؟  
مدام فنيرون : السيد تسييه ظل قابلاً فى مكانه ، كما  
هى عادته . وقد احتجت لنقود ،  
فأرسل إلى ما طلبته منه بعد شئ من  
المشقة ، وحتى الآن لم تتجاوز علاقاتنا  
هذا الحد .

مدام دى سان جينى : أنصتى إلى ما سأقوله لك ، يا مدام  
فنيرون . وإذا لم يتبين لك صدق قولى  
بالنسبة لحالة بعينها ، فلا أقل من أن  
أن تتخذيه قاعدة عامة لسلوكك .  
حاذرى من السيد تسييه .

مدام فنيرون : ليكن ، يا سيدتى ، سأحاذر منه .  
ولكن إذا فرضنا أنه سئ النية ، فلن  
أكون أنا التى أضعه عند حده ، بل  
موثق عقودى .

مدام دى سان جينى : احذرى أيضاً من موثق عقودك .

مدام فنيرون : أوه ! يا سيدتى .

مدام دى سان جينى : لا تقولى أوه ! ، يا مدام فنيرون ،  
فأنا أدرى بوكلاء الأعمال هؤلاء .

لا أحد مطلقاً يستطيع أن يعرف ما إذا  
كانوا يعملون على إنقاذه أم على  
إغراقه ، والإنسان معهم دائماً على  
خطأ .

مدام فنيرون : ماذا تقولين إذن ، يا سيدتي ، حين  
تعلمين أن السيد بوردون موثق  
عقودنا ، هو نفسه موثق السيد  
تسييه ؟

مدام دي سان جيني : أقول لك أن تتخذي موثقاً غيره .

مدام فنيرون : كلا ، يا سيدتي ، إني أثق في السيد  
بوردون ثقة عمياء ، ولن أتركه إلا  
إذا فقد هذه الثقة في نظري .

مدام دي سان جيني : حينئذ سيكون الأوان قد فات .

أوجسط : [ يدخل ويقترب من مدام فنيرون ] السيد  
لوفور يبعث بتحياته إلى سيدتي ،  
ويسألها عما إذا كانت قد فحصت  
مذكرته .

مدام فنيرون : مذكرته ! أهو إذن قد سلمني إياها ؟

أوجسط : نعم ، يا سيدتي .



مدام فنيرون : وأين وضعتها ؟ لا أدري عن ذلك  
شيئاً .

أوجسط : سيأتي السيد لوفور لرويتك خلال  
هذا النهار .

مدام فنيرون : حسن جداً . أخبره بأنني مستعدة  
لاستقباله . [أوجسط يخرج] السيد لوفور  
هو مهندسنا .

مدام دي سان جيبي : حاذري من مهندسكم . !  
مدام فنيرون : لا أدري ، يا سيدتي ، من أين جاءتك  
هذه الفكرة السيئة عن الناس ، ولكن  
لو كنت مكانك لما صرحت بها .

مدام دي سان جيبي : [ومى تنهد] أتمنى من صميم قلبي لكم  
جميعاً ، يا عزيزتي مدام فنيرون ،  
لك أنت التي لا أريد لك إلا الخير  
ولبنائك الساحرات حقاً أن يسير كل  
ما يتعلق بتركة السيد فنيرون على  
ما يرام ، ولكن لا شيء في المصالح  
والأعمال يسير على ما يرام . فكل  
ما هو بسيط يصبح معقداً ، وكل ما هو  
معقد يصبح غير قابل للفهم . وصديقي  
يا سيدتي إذا نصحتك بأن تنسى قليلاً

من مضى إلى رحمة الله لتفكرى فى  
نفسك وفى أولادك . فأنا لا أعرف ،  
من سوء الحظ ، ما يدل على ما إذا  
كان السيد فنيرون قد ترك لكم بعض  
الأوراق المالية أو أسهما من أسهم بنك  
فرنسا . لم يترك شيئاً من هذا القبيل ،  
أليس كذلك ؟ إن كل ثروته تنحصر  
فى هذا المصنع الذى يملك نصفه ،  
والسيد تسييه النصف الآخر . نعم ،  
لأنه يملك بعض الأرض ، ولكنه دفع  
جزءاً كبيراً من ثمنها عن طريق  
القروض والرهون . تأكدى أنى  
أذكرك بكل ذلك من باب الصداقة ،  
لأنه يجب على النساء أن يتعاون فيما  
بينهن ، وأن تقوم كل منهن بتقديم  
النصيحة إلى صاحبتها ، أما من جهة  
المصالح ، فأعتقد أنه لم تعد لى مصلحة  
هنا . لقد كنا قد اعتزمنا القيام بمشروع  
رائع جميل ، وهو مشروع زواج  
طفلينا ، وأنا أرجو من كل قلبى أن  
يكون قد تأجل لا أكثر ولا أقل ،

ولكنى أعتقد بأنه قد باء بالفشل تماماً .  
وذلك لأنه لم يعد فى استطاعتكم أن  
تفؤا بالالتزامات المالية التى تعهدتم  
بها . ولن أسمح لابنى بأية حال أن  
يعقد زواجا هزىلا يحق له أن يلقى  
مستوليته على كاهلى فيما بعد . أنت  
أم ، يا سيدتى ، وتدركين مثل هذه  
الأمر تمام الإدراك .

مدام فنيرون : كما تريدن ، يا سيدتى .

[فترة صمت وجيزة]

مدام دى سان جينى : [بانفعال] إلى اللقاء ، يا سيدتى العزيزة

اعملى ما قلته لك ، اهتمى بمصالحك ،  
وسنعود إلى الكلام عن طفلينا مرة  
أخرى . ولكن أستحلفك الله ،  
يا مدام فنيرون أن تضعى نصب  
عينك أنفع وأعز نصيحة يمكن أن  
أقدمها إليك . وهى أن تحاذرى من  
كل الناس . من كل الناس .  
[تسجه نحو الباب ، تودعها مدام فنيرون فى  
فتور ، يفتح الباب ويدخل تسييه ]  
أرجوك ، يا سيدتى ، أن تستريحى ،  
لا تصحبنى أكثر من ذلك .

[تخرج ]

## المنظر الثاني

مدام فنيرون ، تسييه

مدام فنيرون : [ باكية ومندبها في يدها ] يا لها من كارثة يا سيد تسييه ، يا لها من كارثة مروعة ! عزيزي فنيرون المسكين ! العمل هو الذي قتله ! لماذا انكب على العمل إلى هذا الحد ؟ إنه لم يكن من عشاق المال ، ولم يكن ينفق شيئاً على نفسه . آه ! كان يريد أن يرى أولاده سعداء في حياته ، وأن يترك لهم ثروة بعد مماته .

[ فترة صمت ]

تسييه : مدام تسييه جاءت تطلب مني معلومات عما آل إليه مركزكم بعد وفاة زوجك ، فهل كان ذلك بتصريح منك ، يا سيدتي ؟

مدام فنيرون : إنني أجهل تماماً هذه الزيارة التي لم أكن لأصرح بها .

تسييه : كان واجبي في غاية الوضوح : لقد أمسكت بذراع هذه السيدة ودفعتها خارج مكنتي .



مدام فنيرون : لم يكن فضولها ليستحق شيئاً آخر غير هذا . وبهذه المناسبة أقول لك إن مدام دى سان جيئى كانت هنا لدى حضورك ، وكانت تكلمنى عن شئون زوجى . ولا شك أنك تعرف هذه الشئون جيداً وتفهمها خيراً من أى شخص آخر . فهل لك أن توضحها لى ؟

تسييه : الواقع أنى انتهزت فرصة إحدى لحظات فراغى ، ورحت أنسلى فى حصر تركة فنيرون . فإذا تريدن بوجه خاص ؟ بطبيعة الحال أن تعرفى ما إذا كانت ستنجلى عن خسارة أم عن ربح [ حركة من مدام فنيرون ] ينتج من الحسابات التى عملتها مستعيناً بالدواة والقلم هذا الموقف العام . . . أنت مصغية إلى ؟ . . . بعد أن يباع المصنع . . .

مدام فنيرون : ولماذا يباع ؟

تسييه : لا مفر من ذلك . وكذلك بعد بيع الأرض التى كنتم قد بدأتم تشييدها .

مدام فنيرون : سأحتفظ بأرضي .  
تسييه : لن تستطيعي ذلك . وبعد دفع ديونك  
الجارية . . .

مدام فنيرون : ولكن ليس على أي دين .  
تسييه : أنا أقدر هذه الديون بحوالي أربعين  
ألف فرنك . وهذا المبلغ لا يتضمن  
ديون مهندسكم الذي يجب أن يسوى  
حسابه مع بيع المباني . أو اصل الحساب  
ثم ضرائب الأيلولة . . .

مدام فنيرون : أجب علي ، إذن ، يا سيدي ، أن  
أدفع من أجل أن أرث زوجي ؟  
تسييه : نعم ، يا سيدي ، يجب أن تدفعي . ثم  
بعد خصم النفقات العامة . . . وأعني  
بالنفقات العامة أتعاب موثق العقود  
وأتعاب وكيل القضايا والمصاريف  
غير المنظورة من أجور عربات وإرسال  
خطابات ، الخ . بالاختصار الحساب  
الذي فتحته تحت هذا البند : « تصفية  
مركز المرحوم فنيرون زوجي » أقول  
بعد دفع هذا الحساب بتمامه يتبقى لك  
خمسون ألف فرنك .

مدام فينيرون : خمسون ألف فرنك دخلا سنوياً ؟  
تسييه : دخلا سنوياً ؟ ألم تنصني إذن إلى ما قلته لك ؟ من أين يتيسر لكل ما تركه زوجك أن يكون رأس المال الضروري لتوفير دخل سنوي قدره خمسون ألف فرنك ؟

مدام فينيرون : [ تكتب ] « عزيزي السيد بوردون ، أرجو أن تتفضل بالحيء للحديث معي في أقرب وقت ممكن . لن يهدأ لي بال إلا بعد رؤيتك . أحبيك تحية الشرف والأمانة . أرملة فينيرون خمسون ألف فرنك ! [ لأوجسط الذي دخل ] اذهب بهذا الخطاب فوراً .

تسييه : [ يخرج محفظة مليئة بالأوراق ] لا شك أنك

ستفهمين خيراً من ذلك حين تقرئين .

مدام فينيرون : خمسون ألف فرنك ! [ تدير وجهها نحو

تسييه وتضرب المحفظة التي في يده فتسقط على

الأرض ] احفظ ورقك لنفسك ،

فلم يعد لي كلام معك .

[ تخرج من الباب الأيسر ]

## المنظر الثالث

تسييه

: [ وحده ، وهو يتلقت أوراثة من الأرض ]

جهل وعدم فهم واندفاع ، هذه هي أخلاق النساء ! ماذا عساها تظن ؟ هذا ما لا أدرى عنه شيئاً . إنها تريد الاحتفاظ بأرضها ، وذلك ما لا تستطيعه . على كل حال أعتقد أن بوردون سيأخذ على عاتقه إقناعها ، ولا شك أنه إذا استطاع إنهاء المسألة في ستر ، كما وعدني ، فلن سأضع يدي على المبنى التي تساوى ضعف ما سأدفع فيها . ولكن يجب الإسراع ، يجب ألا تضيع منا دقيقة واحدة . فإن الإنتظار من شأنه أن يجتذب مشترين آخرين ، وهذا من مصلحة أصحاب الملك . ولكن إذا عرف بوردون أني وجهت الضربة الأولى ، فإنه سيسارع ، هو الآخر ، بتسديد باقي الضربات .

[ يتوجه للخروج ، تدخل ماري من الباب الأيسر ]



## المنظر الرابع

تسييه ومارى

: لا تخرج يا سيدى ، قبل أن يتم الصلح  
بينك وبين أمى ، لقد أكثرت من  
البكاء ، هذه الأم المسكينة ، أكثرت  
من البكاء حتى أصبحت تفقد صوابها  
فى أكثر الأحيان .

مارى

: [ راجعاً ] لقد حضرت قبل فوات الأوان  
يا آنسة . فقد كنت على وشك الذهاب  
إلى المحكمة التجارية لطلب الحكم على  
مدام فينيرون برد المبالغ التى أمدتها  
بها . فالواقع أنى تحملت الضرر على  
نفسى لكى أخرج أملك من ورطتها .

تسييه

[ يعود إلى إخراج محفظته ويجذب منها ورقة أخرى ]  
أرجوك أن تطلعها على هذا الحساب  
البسيط لكى تراجع به بنفسها . ففى  
اليوم الخامس من يناير أقرضت مدام  
فينيرون ٤٠٠٠ فرنك لا بد أنها  
صرفت فى جنازة والدك ، وفى  
الخامس عشر من يناير أقرضتها ٥٠٠٠

فرنك لنفقات البيت على نحو ما قالت  
لدى طلبها ، وفي الخامس عشر من  
يناير أيضاً ، انصتي جيداً ، صرفت  
أمر دفع بامضاء جاستون فينيرون  
لحساب لوفيبور ، وقيمته ١٠٠٠٠  
فرنك . ولما كان أخوك لا يزال  
قاصراً ، فإن التزاماته لا تساوى  
شيئاً . ولكني أعتقد أن مدام فينيرون  
لن تسمح لنفسها بإهدار حق شريك  
غرر به هذا الشاب وخدعه في سنة  
وفي موارده الشخصية . [ يطوى الورقة  
ويناولها إياها ] أنا خادمك .

ماري

: لا تخرج ، يا سيدي ، أرجوك ألا  
تخرج . فليس هذا الحساب هو الذي  
أزعج والدتي وجعلها تثور عليك .  
أما عن ثقتك في توقيع أخي ، فلأنها  
أخرى بأن تشكرك عليها ، وإن كان  
ذلك لن يعفي أخي من الملام .

تسبيبه

: [ مندهشا ، وعلى فمه ابتسامة ] أنت إذن ،

تعرفين قيمة التوقيع ؟

ماري

: لقد علمني والذي ذلك .

تسييه : كان الأجدر به أن يعلمه أخاك .  
مارى : اجلس يا سيدى ، ربما كانت حادثة  
سنى لا تسمح لى بالكلام معك فى  
المصالح .

تسييه : [واقفاً ولا تزال الابتسامة على فمه] هيا ،  
تكلمى ، أنا مصغ إليك .

مارى : كنت من جهتى أنتظر أن يحدث تغير  
كبير فى مركزنا ، ولكنى لم أفكر قط  
فى أن ينهار وضعنا هذا الانهيار التام .  
ولكنى أظن ، يا سيدى ، أنك لا  
تنصحنا بالاستسلام التام ولا بالعناد .  
فإذا يجب علينا ، إذن أن نفعل ؟  
لا شك أنه ينبغى لنا أن نبحث مصيرنا  
جيداً ، وأن نستشير من فى وسعهم  
أن يقدموا لنا مشورتهم ، وألا نتخذ  
أى قرار إلا بعد أن نعرف ما له وما  
عليه .

تسييه : آه ! إذن لندع مسألة المبانى جانباً ،  
فإنها لا تعنينى . ولكن ماذا ستقررون  
فيما يخص المصنع ؟

مارى : ماذا يكون الحال ، يا سيدى ، لو

أردنا أن نحفظ به ، وأردت أنت  
أن تبيعه ؟

تسييه : سيباع . فإن القانون قد قدر وقوع  
هذه الحالة ، وأعد لها عدتها .

مارى : أهنالك قانون ؟

تسييه : [ والابتسامة دائماً على فيه ] نعم ،

يا آنستى ، هنالك قانون . هنالك المادة

٨١٥ من القانون المدنى التى تسمح

لكل من الطرفين بالخروج من الشركة

التي حلت فعلاً بموت والدك .

وأستطيع على الفور أن أطمئنك من

هذه الناحية [ يخرج مجلداً من جيبه ]

انظرى جيداً إلى هذا المجلد : « مجموعة

القوانين والنظم المعمول بها فى جميع

الأراضى الفرنسية » . الحقيقة أنى لا

أخرج مطلقاً دون أن يكون هذا القانون

فى جيبى . هذه عادتى التى أنصحك

باتباعها [ يقدم لها المجلد مشيراً إلى صفحة

معينة ، وفى أثناء قراءتها للمادة ، ينظر إليها

نظرة فيها مزيج من الاهتمام واللذة والسخرية ]

هل فهمت ؟



- مارى : كل الفهم .
- تسييه : اسمك مارى ، أنت ثانية بنات  
فينيرون ؟
- مارى : نعم ، يا سيدى ، لماذا ؟
- تسييه : كان والدك يفضلك على جميع بناته .
- مارى : كان والدى يحب جميع أولاده بدرجة  
واحدة .
- تسييه : ومع ذلك ، كان يحبك أعقل من  
أختيك .
- مارى : كان يقول ذلك فى بعض الأحيان  
ليعزيزنى عن كونى أقل منهما جالا .
- تسييه : ماذا ينقصك من هذه الناحية ؟ أنت  
جميلة العينين ، ناضرة الخدين ،  
رشيقة القامة ، وكل هذه أمور تدل  
على سلامة صحة المرأة .
- مارى : إن شخصى لا يشغل بالى فى شيء ،  
ولست أتمنى إلا أن أعيش فى زوايا  
النسيان .
- تسييه : لا شك أنك أنت التى تساعدن  
والدتك فى تدبير أمور بيتها ، وأنت  
التي تقومين لها مقام الكاتب عند اللزوم .

مارى : لم تسنح الفرصة لذلك حتى الآن .  
تسييه : ها هي ذى قد سنحت . واعتقد أنه  
ليس في مقدور مدام فينيرون أن تدبر  
أمورها بمفردها ، وأنتك تستطيعين  
أن تقدمي لها أجل الخدمات في هذا  
الصدد . . . هل تميلين بعض الشيء  
نحو الأعمال التجارية ؟

مارى : أستطيع فهمها عند اللزوم .  
تسييه : ألا تخشين الرسائل والرد عليها ؟  
مارى : كلا ، ما دمت أعرف ماذا يجب أن  
أقول .

تسييه : هل تعرفين كيف تجري العمليات  
الحسابية بسهولة ؟ نعم أم لا ؟ ألا  
تريدين أن نجيب ؟ [ يتركها ] لابد أنها  
يحسب كما يحسب الملاك . [ يذهب  
لتناول قبعته ثم يرجع ] أنت تعرفين  
الآن ، يا آنسى ، أنه لم يعد للجدل  
مكان بيننا . فنحن متفقون بحكم  
القانون . ربما كان لديك أفكار معينة  
حول المصنع ، ولكن لا جدوى  
لها . . . الواقع أن حرصى على هذه

المؤسسة قد تلاشى شيئاً فشيئاً . وعلى  
أية حال لن تسمح لكم حاجتكم إلى  
المال بالاحتفاظ بها . وهى فى الوقت  
نفسه مؤسسة مزدهرة ، وقد كان  
موت مديرها فرصة ذهبية لن تتكرر  
من أجل التخلص منها ، فلنعمل على  
ألا تفلت هذه الفرصة من أيدينا .  
ألديك شىء آخر تريد أن تقوليه ؟

: لا نخرج ، يا سيدى ، قبل أن ترى  
أمى ، لأنها الآن أهدأ من ذى قبل ،  
وستنصت إليك بأذن صاغية .

مارى

: لا فائدة من ذلك . لقد قلت لمدام  
فينرون ما يجب أن أقوله ، وأنت  
بما لديك من ذكاء تستطيعين أن  
تشرحى لها ما تبقى .

تسييه

: [ بعد أن دقت الجرس ] أجبني إلى ما  
أطلبه منك ، يا سيدى ، إن أمى كانت  
فى حالة من الجزع سلبتها قدرة التحكم  
فى نفسها ، فإذا ذهبت إليها ، أُنحت  
لها الفرصة لكى تقدم لك أسفها .

مارى

: ليكن ! كما تريد ! أنتم تريدون

تسييه

إذن ، أن نضل في علاقات طيبة ؟  
لأنكم لن تربحوا شيئاً من وراء ذلك ،  
وهأنذا أحذرك . ما عسى أن يكون  
عمرك ، يا آنسة ماري ؟ لا أكثر  
من عشرين سنة ! ولكنك مع هذا  
إنسانة صغيرة متواضعة متزنة تستطيعين  
التعبير عن نفسك بصورة مهذبة جداً .  
[ يتركها ] وهناك شيء آخر لم يخبرني به  
والدك ، وهو أنك فتاة مغرية .

[ أوجسط يدخل ]

ماري : اتبع أوجسط ، وسيقودك إلى حيث  
أمي .

تسييه : [ بعد أن كد ذهنه في البحث عن كلمة مجاملة  
دون أن يجد ] أنا خادمك ، يا آنستي .  
[ يدخل من الباب الأيسر ، بناء على إشارة من  
أوجسط تدعوه إلى سلوك هذا الطريق ]

## المنظر الخامس

ماري ، ثم بلانش

ماري : [ منفجرة بالبكاء ] آه يا والدي ! آه  
يا والدي !



بلانش : [تدخل وتذهب نحوها ببطء] من الذى كان معك ، هنا ؟

مارى : السيد تسييه

بلانش : أهو هذا الرجل الكريه الذى احتجزك معه كل هذا الوقت ؟

مارى : اسكتى ، يا عزيزتى ، اسكتى . يجب علينا منذ الآن أن نراقب أنفسنا ، وأن نراقب أعمالنا وأقوالنا .

بلانش : ماذا جرى ؟

مارى : لقد أصبحنا معدمين ، على ما يبدو .

بلانش : معدمين !

[مارى تغطى رأسها وتنفجر بلانش بالبكاء ، ترميان كل منهما بين ذراعى الأخرى ، تفرقان ، ولكن بلانش تظل منفعة منتحبة]

مارى : علينا الآن أن نعتصم بالعقل والصبر

والشجاعة ، ولنحاول الخروج من

هذه الأزمة على خير وجه ممكن بأن

نوطن العزم على قبول كثير من المحن

وكثير من السفالات .

بلانش : إفعلن ما بدالكن ، أمى وجوديت

وأنت . أما أنا فلا شأن لى بشىء من

ذلك . لست أريد إلا أن أعطى فى نوم

عميق لا أفبق منه إلا يوم زواجى .  
مارى : لو سمعت كلامى ، يا عزيزتى

بلانش ، لتحلت من هذا الزواج ،  
ولا تمتنع عن مجرد التفكير فيه .  
فلا ريب أنهم سيجدون من الأسباب  
الوجبة ما يبرر فسخه . فهناك ، أولاً  
وقبل كل شيء ، صغر سنك ، ثم  
هذا الحداد الذى نحن فيه ، ثم فقدان  
ثروتنا الذى من شأنه أن يغير نوايا  
كثيرة . ولو كنت مكانك لفضلت  
أن أواجه نفسى بالحقيقة بدلا من أن  
أسمعها من فم غيرى .

بلانش : لى أفهم ما تقولين جيداً . ولكنك  
بهذه الفكرة التى لم ترد على خاطرى  
قط تسببين لى من الألم أكثر مما  
تتصورين ، يا مارى .

مارى : لا تبتشى إلى هذا الحد . فهناك كثير  
من الزيجات التعسة . وكم من فتاة  
ندمت على زواجها بعد أن طال  
شوقها إليه . إننا نتزوج دون تبصر ،  
دون أن نعرف شيئاً ، ودون أن

تحسب حساباً لشيء ، والحقيقة أن  
عطف أهلنا أفضل بكثير من عطف  
شخص غريب .

: لماذا تشكين في السيد دي سان جيبي ؟

بلانش

: إني أنظر إلى مركز كل منكما ، وهذا

ماري

كل ما في الأمر .

: جورج شاب صادق النية منزله عن

بلانش

الغرض .

: ولكن له أمّا تدبر أمره .

ماري

: لا توجد أم تنصح ابنها بخيانة العهد .

بلانش

: ستلتقي وجهتا نظرهما دون أن يحتاجا

ماري

إلى التشاور فيما بينهما . نعم ، أنت

خير زوجة على وجه الأرض ، لا

قلب أنقى من قلبك ، ولا عاطفة

أصفى من عاطفتك ، والمال لا قيمة

له في نظرك ، ولكن المال له قيمته

في نظر الآخرين ، وليس في مقدور

المرء أن يضمن شخصاً يضع مصالحه

في كفة الميزان .

: [ لنفسها ] أي يمكن لشاب صغير عاشق

بلانش

كما يقول ، معشوق كما يعلم ألا

يفضل التضحية بمصالحه المادية على

ارتكاب مثل هذا الجرم الفاضح ؟

: ماذا تظنين أنى أريد ؟ إنى أتمنى أن

مارى

يكون هذا الزواج لا يزام ممكناً ،

ما دمت ترين فيه سعادتك . ولكن

أحب أن تعلمى أنه لا يمكن أبداً لفتاة

أن تندم على أنها تذرعت يوماً بقوة

الإرادة والتسليم بما قد تأتى به الأقدار .

: التسليم بما قد تأتى به الأقدار ! لو

بلانش

فكرت يوماً فى أن السيد « دى سان

جيني » لم يطلب يدى إلا من أجل

مهرى لشعرت بأنى أحقر امرأة فى

العالم ، ولو صدقت أنه تردد فى

زواجى بعد أن ضاع مهرى لأصببت

بالجنون أو مت كمدأ .

: إذن أنت تحبينه كثيراً .

مارى

: نعم ، أحبه ! بل أعبدته إذا طاب لك

بلانش

ذلك ! إنه وديع ، حنون ، ثم هو

طفل مثلى . وأنا واثقة من أنه ذو

قلب . وأنه ليس أهلاً لارتكاب عمل

غير لائق . فأنت ، إذن ، تفهمين



جيداً أنى أريده زوجاً لى ، أليس  
كذلك ؟ وإذا كنت قد أخطأت فى  
حكمى عليه ، وإذا كان لا يستحق  
حبى ولا احترامى ، بل إذا كان أخط  
رجل فى الوجود ، فإنه لا بد لى الآن  
من زواجه .

مارى

: [لنفسها] لأنها تعانى أفدح الآلام .

يا لها من طفلة مسكينة ! إنها تهذى .

بلانش

: [لنفسها] يا لها من غلطة ! يا لها من

غلطة ! أنت تعرفينى تمام المعرفة ،

أنت يا أختى ، فنحن نعيش معاً منذ

عشرين عاماً دون أن تخفى إحدانا سرّاً

عن الأخرى . ألسنت فتاة صغيرة

جميلة قد تيمها الحب ؟ نعم ، هذا

حق ، ولكنى أيضاً فتاة شريفة ،

لم تجل قط بخاطرى فكرة لا أستطيع

أن أبوح بها . ولو كنت قد قابلت

السيد « دى سان جيئى » فى الشارع

أو فى أى مكان آخر لما نظرت إليه

مجرد نظر . ولكنه جاء هنا ، ويده

فى يد والدى ، فأعجب كل منا

بصاحبه على الفور ، وأعلنت خطبتنا  
 في التو . نعم إن والدتي لم تكف عن  
 نصحي بأن أكون مع خطيبي أكثر  
 تحفظاً مما كنت ، ولكنه كان خطيبي ،  
 فلم أجد أى خطر أو ضرر في الركون  
 إليه .

مارى

هيا ، هدئي من روعك ، ولا تبالغي  
 كما هي عادتك . قلت إنك تحبينه ،  
 وليس في هذا ما يشغلك ، ما دام  
 كان من المقرر أن تتزوجيه . وكان  
 كل منكما يملس على يد الآخر ، وربما  
 تبادلتما القبل أيضاً ، وهذا خطأ في  
 أغلب الظن ، ولكنه لا يستحق هذا  
 اللوم العنيف الذى توجهينه لنفسك .

بلانش

: [ بعد شيء من التردد ] إلى زوجته ،  
 أتدركين ما أقول ؟ إلى زوجته !

مارى

: [ ببراءة متناهية ] لست أفهم ما تريدن

بلانش

: [ بدهشة أولا ، ثم بإعجاب ] أوه !

اغفرى لى ، اغفرى لى ، يا أختي  
 العزيزة ، فما كان ينبغى لى أن أكلمك  
 على هذا النحو ، وأنت طاهرة

كالملائكة . انسى ما قلته لك الآن .  
وحاولى ألا تفهميه وألا تعيده أمام  
أحد ، وبوجه خاص أمام أمى أو  
أخى جوديت .

مارى : أتعلمين أنى أعتقد أنك مجنونة بعض  
الشيء ، أو أنى أنا غبية ؟

بلانش : نعم أنا مجنونة ، أما أنت فأجمل طفلة  
وأرق أخت يحلم بمثلها لإنسان .  
[ تقبلها بشفت ]

### المظهر السادس

الأشخاص أنفسهم ، ثم بوردون

بوردون : طاب يومكما ، يا آنستاي ، أعتقد أن  
مدام فنيرون هنا ؟ هل لكما أن  
تخبراها بأنى أنتظرها ؟

مارى : اذهبي ، يا عزيزتى  
[ بلانش تخرج من الباب الأيسر ]

## المنظر السابع

مارى ، بوردون ، ثم مدام فينيرون

بوردون : كتبت إلى والدتك تخبرني بأنها تنتظر  
أن تراني بفارغ الصبر ، وهذا ما  
أدركه جيداً . بل كنت أنتظرها كل  
يوم في مكثي .

مارى : كانت والدتي طوال هذه الأيام ،  
يا سيد بوردون ، في غاية الأسى  
وفي غاية الألم . . . .

بوردون : إنني أفهم جيداً ، يا آنستي ، ألا تكون  
السيدة والدتك في حالة تسمح لها بقتل  
الوقت في الزيارات والجري في المحلات  
التجارية بعد تلك الكارثة التي حلت  
بها . ولكن كان ينبغي لها أن تتحمل  
مشقة الذهاب لرؤية ماثق عقودها ،  
وإذا كان ذلك فوق طاقتها ، فقد كان  
يجدر بها أن تدعوه لزيارتها . ومن  
حسن الحظ أن تركة السيد فينيرون  
لا تنطوي على صعوبات مستعصية ،  
ومع ذلك فإن والدك قد ترك تلك  
العملية الضخمة الخاصة بالأرض التي



يجب فحصها عن كُثْب وتصفيها  
بأسرع وقت ممكن ، أتفهمين ما  
أقول ؟ يجب تصفيها بأسرع وقت  
ممكن .

: ها هي ذى والدتي .

ماري

: [ باكية وبهدأ مندبها ] يا لها من

مدام فنيرون

كارثة ، يا سيد بوردون ، يا لها من

كارثة مروعة ! عزيزي المسكين

فنيرون ! لا أعتقد أنه يكفي أن

أبكيه ليلاً ونهاراً ، فإني أحس جيداً

أنني لن أعيش بعده .

[ فترة صمت ]

: أخبريني ، يا سيدتي ، قبل أن أنسى .

بوردون

جاءت إلى مدام « دي سان جيبي »

تطلب مني معلومات عما آل إليه

مركزكم بعد وفاة زوجك ، فهل كان

ذلك بتصريح منك ؟

: لم يكن ذلك بتصريح مني ، وإذا

مدام فنيرون

زارتك مدام « دي سان جيبي » مرة

أخرى ...

: اطمئني . فقد استقبلت مدام « دي

بوردون

سان جينى « بصورة تقتل فيها كل  
رغبة فى العودة . كنت تريد أن  
تربى ، يا سيدتى . فلتكلم قليلا ،  
ولتكلم سريعا ، ولتكلم كلاما مفيدا .

مدام فنيرون : لن أحتجرك وقتاً طويلا ، يا سيد

بوردون ، فلدى سؤال واحد أريد  
أن أوجهه إليك . هل صحيح . هل  
من الممكن أن يكون كل ما تركه  
زوجى هو مبلغ خمسين ألف فرنك ؟

بوردون : من قال لك ذلك ؟

مدام فنيرون : السيد تسييه .

بوردون : خمسون ألف فرنك ! ربما كان السيد

تسييه مبالغاً . فأنت تعرفينه جيداً أنه  
ليس رجلاً شريراً ، ولكنه غليظ  
الطبع ، إذا تعلق الأمر بالمال .

وتأكدى ، يا سيدتى ، أنى سأعمل كل

ما فى وسعى لكى يثول إليك شيء

أكثر من ذلك . [ مدام فنيرون تنفجر

بالبكاء ، وتذهب إلى الأريكة حيث تنطح

عليها ، يذهب إليها ]

إذن كنت تظنين ، يا سيدتى ، أن

تركة السيد فنيرون تركة ضخمة ؟

بكم كنت تقدرينها ؟

لا أدري ، يا سيدى .

مدام فنيرون

بوردون

: ومع ذلك لا بد أن تكونى على بعض العلم

بما ترك لك زوجك . فهذا أول شيء

يشغل بال الزوجة حين تفقد زوجها .

[تركها] ولكن ذلك لا يعفى تسييه من

اللوم ، إذ ذكر لك رقما عاماً دون

تفصيل ، ولن أتردد فى أن أقول له

هذا فى وجهه . فالأعمال التجارية

لا تعالج على هذا النحو ، وإنما يجب

على المرء أن يبدأ فى تصفيتها بدياتها ،

يجب أن يبدأ بالأمور العاجلة ، وأن

يتقدم فيها خطوة خطوة حتى إذا

ما وصل إلى نهايتها تبقى ما تبقى

[يرجع إل حيث مدام فنيرون] هل

عزمت على شيء بالنسبة إلى الأرض ؟

إنك فى هذه المسألة تواجهين ضرورة

ملحة ، يجب عليك أن تبيعها .

: كم نستطيع أن نحظى منها على ما نظن ؟

مارى

بوردون : كم تستطيعين أن تجنى منها ، يا آنسى ؟  
لا شيء ! يجب ألا تنتظري منها شيئاً  
مطلقاً .

مدام ثنيرون : [ تنهض من مكانها ] إذن ما الفائدة في  
أن نتخلص منها ؟

بوردون : [ عائد حيث مدام ثنيرون ] ما الفائدة ،  
يا سيدتى ؟ الفائدة التى يجنيها المرء حين  
يتخلص من جرح دام في قدمه .  
أرجو ، يا سيدتى ، أن تصدقنى إذا  
قلت لك إنه ليس من عادتى فى تقديم  
النصائح أن أكون قاطعاً إلى هذا الحد .  
ذلك لأن كل يوم يمر ، يحمل فى  
طياته أخطر النتائج . فبينما أنت  
تشاورين وتتداولين يقف كاتيلينا  
على أبواب روما . وليس كاتيلينا فى  
هذه الحال إلا الرهون التى تلتهمكم  
البهائم ، وإلا مهندسكم الذى ينتظر  
بمذكرته ، ومصلحة الضرائب التى لن  
تلبث أن تتقدم إليكم طالبة حقوقها .  
[ يدخل تسييه من الباب الأيسر ، ووراءه  
بلاش ]



## المنظر الثامن

الأشخاص أنفسهم ، وكذلك تسييه وبلانش

|        |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                           |
|--------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| تسييه  | : مساء الخير ، يا بوردون .                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                |
| بوردون | : مساء الخير ، يا تسييه . كنت أشرح<br>لدام فنيرون ولايتها كيف يستحيل<br>عليهما الاحتفاظ بأرضهما .                                                                                                                                                                                                                                                                                                         |
| تسييه  | : لا شأن لى بذلك . الواقع أنه لا يمكن<br>لهؤلاء السيدات أن يجدن ناصحاً خيراً<br>منك . إن مصالحهن بين أيد أمينة .                                                                                                                                                                                                                                                                                          |
| بوردون | : أرجوك ، يا سيدتى ، أن تتدبرى<br>وجهة نظرى جيداً حتى نقطع السبيل<br>على كل سوء تفاهم قد يقع بيننا .<br>فأنا لا أريد أن أجد نفسى فى المستقبل<br>عرضة لأى ملام لا أستحقه ، ولذلك<br>أقتصر على تقرير هذه الحقيقة : وهى<br>أن الحالة الراهنة ضارة بمصالحكم<br>فاخرجوا منها . وبطبيعة الحال أنا لا<br>أقول لك مطلقاً بأن حالة مبانيك من<br>شأنها أن تغرى الشارين ، ولا أن<br>هذه اللحظة هى خير اللحظات لعرضها |

للبيع . ولكننا مع ذلك إذا عرضنا  
 هذه الصفقة في أبهى حللها ، وهذا  
 ما سأبدل فيه كل ما في مقدورى ،  
 وإذا خلصناها من كل ما يحيط بها  
 من أشواك ولجأنا إلى شيء من الاحتيال  
 والطنطنة فقد نصل إلى نتيجة مرضية .  
 : [ لنفسه ] ما هذا الذى يقوله ؟ ما هذا  
 الذى يقوله ؟ [ لبوردون بصوت منخفض ]  
 ألسنا إذن متفقين .

تسييه

بوردون : [ لتسييه بصوت منخفض ] دعنى أتصرف  
 [ يذهب إلى مدام ثنيرون ] انظرى فى  
 الأمر يا سسيدي ، فكرى ، ولكن  
 أرجوك أن تفكرى بسرعة . وحينما  
 تتخذين قراراً ، أخبرينى به .  
 [ يتظاهر بالانسحاب ]

بوردون

تسييه : لا تذهب ، يا بوردون ، قبل أن  
 نقول كلمة بشأن المصنع .

بوردون : المصنع ، يا عزيزى تسييه ، يمكنه أن  
 ينتظر . وإنما أريد ، أولاً وقبل كل  
 شيء ، أن أخلص مدام ثنيرون من  
 أرضها . إننا أمام أرمل وأربعة أطفال

بوردون

وجدوا أنفسهم في حالة فقر مدقع  
ما بين عشية وضحاها ، وهذا وضع  
يستحق كل اهتمام ، فلا تنس ذلك .

[تسييه يبتسم]

أوجسط : [يدخل ، لمدام فنيرون بصوت منخفض]

هنا السيد لوفور ، يا سيدتي .

مدام فنيرون : أرجوك ، يا سيد بوردون ، أن

تفضل بالبقاء لحظة أخرى . ستسمع

ما سيقوله مهندسنا ، وربما أقنعك

بتغيير رأيك .

بوردون : أنا تحت أمرك ، يا سيدتي .

مدام فنيرون : [لأوجسط] أدخل السيد لوفور ، وارج

الآنسة جوديت أن تأتي هنا .

### المنظر التاسع

الأشخاص أنفسهم ثم لوفور ثم جوديت

مدام فنيرون : [تبكى ومندبها في يدها] يا لها من

كارثة ، يا سيد لوفور ، يا لها من

كارثة مروعة ! عزيزي فنيرون

المسكين ! لن يعزبني شيء عن هذه

المصيبة التي حلت بي .

لوفور : [وهو عامي السلوك ضخم الصوت] هيسا ،

يا سيدتى ، لا تبتئسى إلى هذا الحد ،  
فسنصل بشيء من الصبر والمثابرة إلى  
أن نعوضك عن فقدان زوجك .  
[ يتقدم نحو مقدمة المسرح ]

تسييه : مساء الخير ، يا لوفور .

لوفور : تحيأتى ، يا سيد تسييه

[ تدخل جوديت ]

مارى : [ للوفور ] أنت تهتم كثيراً ياسيدى ،

بالأعمال التى عهد إليك بها ؟

لوفور : نعم ، يا آنستى ، إن فنيرون لم يكن

عميلاً بالنسبة لى ، بل كان أخاً .

مارى : إننا على وشك اتخاذ قرار هام جداً . .

لوفور : أنا تحت أمركم . وقى كله لكم ،

ومالى فى خدمتكم . فأطفال فنيرون

هم أطفالى .

مارى : إذا كان لديك بعض الإيضاحات ،

أو حتى إذا كان لديك مشروع

ما تريد أن تفضى به إلينا ، فأرجو أن

تبوح بكل شيء فى حضور هذين

السيدتين .

لوفور : إنى على تمام الاستعداد ، يا آنستى .



هذان السيدان لا يخيفاني ، فقد تعودت  
ألا أرهب شيئاً .

مدام فنيرون

: اجلس ، يا سيد لوفور .

لوفور

: [وقد جلس] هل فتحت مذكرتي

يا سيدتي ؟ كلا ، أليس كذلك ؟

ليكن . هذه المذكرة تتضمن تقرير

عن أرض السيد فنيرون تبسترص فيه

أمور الصفقة من ألفها إلى يائها . فلو

كان هذا التقرير تحت بصرى الآن ،

لاستطعت أن أكون أكثر إيجازاً

وأقدر على الإفهام .

مارى

: أستطيع أن أحضرها لك ، يا سيدى ،

فأنا التى أحفظ بها .

لوفور

: أكون شاكراً لك .

[مارى تذهب إلى المكتب «السكرتيرة» ، مارة أمام

أمها وتسييه اللذين يجلسان متجاورين]

تسييه

: [لمدام فنيرون] إن آنستك هذه على

جانب من النظام .

مدام فنيرون

: على كثير من النظام .

تسييه

: لأنها ستصبح فيما بعد امرأة حصيفة .

مدام فنيرون

: نعم ، أعتقد ذلك .

تسييه

: أهى تجيد الحساب ؟

[ لا جواب ]

بوردون

: [ تناول المذكورة من يدى مارى وانتزع جزءاً

منها وسلمه للوفور ] هكذا هو ما تريد

فيما أظن ، فإذا سمحت ، فانى سألقى

نظرة على مذكرتك أثناء إحصائى

إليك .

[ يتبادلان نظرة عدائية ]

لوفور

: [ وهو يضطعل كل جملة من كلامه ] بادئ

ذى بدء تقع أرض السيد فينيرون فى

طرف باريس بجوار إحدى المحطات ،

ومن ثم تخضع لظروف اضطرارية

لا عداد لها ، وكل هذا يجعلها صفقة

خاسرة باعتبار الثمن الذى دفع فيها .

ولنقل بصراحة إن السيد فينيرون

قد غرر به .

بوردون

: أرجو أن تقف عند حدك . فلم يكن

من مصلحة أحد أن يغرر بالسيد

فينيرون ، وإنما هو قد اشترى هذه

الأرض على أمل أن تنزع ملكيتها .

لوفور

: تنزع ملكيتها ؟ لحساب من ؟

- بوردون : لحساب السكة الحديدية .
- لوفور : ما هذا الهراء إن السكة الحديدية هي التي باعها .
- بوردون : أنت واثق من ذلك ؟
- لوفور : كل الوثوق .
- بوردون : ليكن . إذن كنا نفترض أن البلدية التي كانت قد شرعت في تنفيذ بعض الأعمال في الأحياء المتطرفة ستحتاج إلى هذه الأرض . الآن قد تذكرت ، كنا نعول على بيعها للبلدية .
- لوفور : للبلدية أو للعفريت الأزوق . على كل حال لست أنا الذي أتلقي بيانات من غيرى عن أمور البناء . فلنأعرف رقعة باريس كلها من ألفها إلى يائها . والآن أواصل كلامي ، فأقول إن السيد فنيرون الذي أكرر أنه قد غرر به ، سرعان ما أدرك مدى الحماقة التي ارتكبها ، وأراد أن يتلافى أضرارها . ولكن كيف ؟ بإقامة بعض المباني على هذه الأرض . فجاء إلى . وكان يعرف منذ زمن طويل

مقدار نزاھتی وطہارۃ ضمیری ،  
فعملت أنا من جھتی علی ألا أترکہ  
قبل أن یعهد إلی بالعملیۃ . ومن سوء  
الخط أنی لم أكد أنھی من دراساتی  
وأبدأ فی وضع الأساس [ بحرکۃ تمثیلیۃ  
مضحکۃ من وجھہ ] ، حتی کان فینیرون  
قد شد رحالہ إلی العالم الآخر .

: نحن نعرف کل هذه التفاصيل ،  
یا سیدی العزیز ، إنک تضعیع وقتنا  
بسردها علینا من جدید .

بوردون

: إن الورثة یمرّون الآن بموقف حرج ،  
ولکنهم یستطیعون الخروج منه  
منتصرین . فتحت یدهم رجل مخلص  
ذکی یحظى بالاحترام العام فی کل  
مدینۃ باریس . ولیس هذا الرجل إلا  
مهندس المرحوم الذی أصبح الآن  
مهندسهم . فهل تراهم سیضعون إلی  
نصائحه ؟ إنهم إن رفضوا آراءه  
[ حرکۃ تمثیلیۃ مضحکۃ من وجھہ ] ، ضاعت  
علیهم أموالهم .

لوفور

: دع یا سیدی ، هذه الخطب الطویلة ،

بورذون



لوفور

واقترح ما تريد أن تقترحه .

: لنفترض أسوأ الفروض : فالسيد لوفور

الذى يكلمكم فى هذه اللحظة مستبعد

من الصدقة ، وبطبيعة الحال سيسوى

له حسابه بكل أمانة دون أن ينازع

أحد فى أى بند من بنود مذكرته ،

ولن يطلب السيد لوفور أكثر من ذلك

وحينئذ ماذا ينتهى إليه أمر المباني ؟

أكرر أنها بعيدة عن وسط المدينة

وتنطوى على عيوب جسيمة ، وأضيف

إلى ذلك أنها مثقلة بالرهون ، وهذه

كلها أمور ستستغل ضد الملاك لمصلحة

مشتري غامض ما . سيوجد هناك كما

لو كان بمجرد الصدقة . [مع سرعة الكلام]

سيحط من قدر المباني وسيسارع فى

بيعها وسيعمل على استبعاد المشترين ،

وستخدع المحكمة للحصول منها على

ثمن أساسى منخفض ، وسيبتسر

المزاد . [بحركة تمثيلية مضحكة من وجهه ] :

وهكذا يثول أمر هذا الملك إلى

لا شيء

بوردون

: حدد كلامك ، يا سيدى ، أطلب

منك أن تحدد كلامك . أنت تقول

سيعمل هذا الشيء وذاك الآخر . من

الذى سيعمل من فضلك ؟ أتعرف

أن مثل هذه المناورات لا يمكن أن

تحدث إلا على يد شخص واحد

بعينه ، وأنت بهذا القول تهتم الموثق

الذى سيكلف بالبيع ؟

لوفور

: لعلك أنت هذا الموثق ، يا سيدى .

بوردون

: أنا لا أتكلم من أجل نفسى ، يا سيدى

بل من أجل جميع الزملاء الذين تنصب

عليهم اتهاماتك . إنك تهجم أعظم

الهيئات التى عرفتها احتراماً دون

أدنى دليل . إنك تثير الريب حول

القانون نفسه فى شخص الموظفين

العموميين المكلفين بتنفيذه . بل إنك

ترتكب ما هو أسوأ من ذلك ، إذا

أمكن أن يكون هناك أسوأ منه .

أنت تزعزع أمن الأسر . حقاً ، إنك

آخر من يجوز له إصدار مثل هذا

الاتهام ، أنت الذى تأتينا بمذكرة

تقدر فيها مستحقّاتك بسبعة وثلاثين ألف فرنك .

لوفور : أنا أطلب أن أكون موجوداً حين تقدم أنت مستحقّاتك .

بوردون : لئنّته من هذه المهاترة ، يا سيدى .  
وقل لنا ، بالاختصار ، ما هي مقترحاتك ؟

لوفور : هأنذا أصل إلى ما أريد اقتراحه .  
أقترح على ورثة فينيرون أن يستمروا في عملية البناء . . .

بوردون : قل لنا ذلك ، كان ينبغي أن يقول منذ البداية ، نعم ، فأنت مهندس وتقترح الاستمرار في عملية البناء .

لوفور : دعنى أكمل يا سيدى .

بوردون : كفى . وإذا كانت مدام فينيرون

تريد سماعك ، فشأنها وما تريد ،  
أما أنا فلن أواصل الإنصات إلى هذا  
الهلديان . ما المبلغ الذى تستطيع إبرازه  
الآن فوق المنضدة ؟ إن مدام فينيرون  
لا مال معها ، وهذا ما أحرص على  
إخبارك به ، فأين مالك أنت ؟ قد

نلتقى هنا بعد ثلاثة أشهر حول هذا  
الوضع بعينه مع ذلك الاختلاف  
البسيط ، وهو أن مذكرتك التي  
تتضمن اليوم سبعة وثلاثين ألف فرنك  
سيتضاعف مقدارها ، إذا واصلت  
السير على هذا المنوال . لا تضطرنى  
أن أقول لك أكثر من ذلك . فإنى  
أخذ اقتراحاتك على علاتها . ولست  
أريد أن أرى فيها مؤامرة مريبة تريد  
بها أن تصبح من الملاك بأرخص  
الأثمان .

لوفور

: ماذا تقول يا سيدى ؟ أنظر إلى  
وجهى . أترى فى سيما شخص يقوم  
بمؤامرات مريبة ؟ أقسم بشرفى أنى لم  
أر فى حياتى مشعوذاً مثلك .

بوردون

: [ وهو يكظم غيظه ، بصوت منخفض نوعاً ما ]  
ماذا تقول عنى . . . أيها المهرج .  
[ مدام ثنيرون تنهض واقفة لكى تتدخل بينهما ]  
دعيهما ، يا سيدتى ، لا تقولى شيئاً .  
فليس من المعتاد أن يقطع المرء مناقشة  
خاصة بالأعمال .

تسييه



لوفور

: [لدام فنيرون] سأنسحب يا سيدتي ،  
وإذا أردت أن تعرفي مشروعى وما  
أملك من موارد ، فاعليك إلا أن  
تستدعينى . أما إذا رأيت غير ذلك ،  
فلنأى أرجوك أن تسوى حسابى فى أقرب  
وقت ممكن ، إذ أنه يتحتم على المهندس  
أن يقرض جميع عملائه على عكس  
موثق العقود الذى يتأمر به مال العملاء .  
[ ينسحب ]

تسييه

: خذنى معك ، يا لوفور ، ففسر معاً  
بعض الطريق [لدام فنيرون] أتركك  
مع بوردون ، يا سيدتي ، فحاولى أن  
تستفيدى من وجوده معك .

لوفور

: [عائداً] نسيت أن أسألك عن هذا  
الأمر ، يا سيدتي . هل أنت التى  
صرحت لسيدة تدعى مدام « دى سان  
جيني » بالحضور لدى . . .

مدام فنيرون

: لأنها ذهبت لدى الجميع . أنا لم أصرح  
لأحد ، يا سيد لوفور ، لأى أحد  
بالذهاب إليك ، وإذا عادت هذه  
السيدة . . .

لوفور : إن هذه السيدة لن تعود . لقد أرغمتها

على نزول السلم بأسرع مما صعدته .

تسييه : [لمارى] وداعاً ، يا آنسة مارى ،

حافظى على صحتك . [ يتركها ثم يعود

إليها ] يجب أن تظلى كما أنت ، إنك

لن تعدى إقبال العاشقين . ولو لم أكن

هزماً لوقفت فى صفوفهم .

### المنظر العاشر

الأشخاص أنفسهم ما عدا تسييه ولوفور

بوردون : نعم ، يا سيدتى ؟

مدام فنيرون : ما أشنع الخطأ الذى ارتكبته ، يا سيد

بوردون ، حين دبرت هذه المقابلة .

بوردون : لن آسف على هذه المناقشة ، يا سيدتى

إذا كانت قد أنارتك حول مصالحك .

مدام فنيرون : أرجو أن تنسى ما حدث لكى ترى

الأشياء على حقيقتها . فالسيد لوفور

رجل غير مهذب ، هذا ما أسلم به .

ولكنه لا يعدم صدق الفطرة ، ولا

المهارة فى الأعمال . ثم هو ، بعد كل

هذا ، لا يعرض علينا إلا ما كان

زوجى سينفذه لو أنه عاش .

بوردون : أنت جادة ، يا سيدتى ، فيما تقولين ؟

إذن ، أنت لم تصفى جيداً إلى حكى  
على اقترحات هذا المهندس .

مدام فنيرون

: يمكننا أن نبحث عن مهندس آخر .

بوردون

: ألا يكيفيك هذا الرجل [صت] اقترين ،

يا آنسأتى ، فقد يكون فى اشتر اككن

عون لنا . إن والدتكن تعيش فى عالم

السموات ، فساعدنى على إرجاعها

إلى عالم الأرض . وسأصور لك

الموقف ، يا سيدتى ، فى أجمل صورة

ممكنة . لنفترض لحظة أن الأرض ملك

لك . لنتناسى وجود الدائنين أصحاب

الرهون الذين لهم حق الاختصاص على

هذه الأرض . أتدريين ، إذن كم

يكلفك إتمام هذه البيوت التى لم تكند

تبدأ ؟ من أربعائة إلى خمسمائة ألف

فرنك . وأظنك تقدرين جيداً أن السيد

لوفور لا يملك هذا المبلغ ، كما أنك

لا تستطيعين أن تعتمدى على إيجاده ،

وحقاً إذا فرضنا أنك وجدته فى أى

مكان آخر ، فإنه لا يليق بسيدة ،  
 واسمحي لي أن أقول لك ذلك ، لا  
 يليق بسيدة أن تضع نفسها على رأس  
 أعمال جسيمة كهذه ، وأن تقذف  
 بنفسها في مشروع لا يدري إنسان  
 متى ينتهي . وهذه الملاحظة في غاية  
 الخطورة ، حتى أنها إذا أثرت أمام  
 مجلس الأسرة ، الذي سيكون  
 بمساعدتك في الوصاية على أولادك  
 القصر ، فقد يعترض على المخاطرة  
 بميراث هؤلاء الأطفال ، مهما قل هذا  
 الميراث ، في مضاربة من هذا القبيل .  
 [بوقار خطابي] ولو كنت أنا عضواً في  
 مجلس أسرة مكلف برعاية مصالح  
 أحد القصر ، ذلك الأمر البالغ أقصى  
 حدود الخطورة ، لعارضت هذا  
 المشروع بكل قواي . [صت] هأنذا  
 قد حذرتك ، يا سيدتي . ولا ينبغي  
 لي أن ألح أكثر مما ألححت ، وإلا  
 تجاوزت حدود مهنتي . وعلى أية حال  
 أنت تعرفين أين مكنتي ، وأنا هناك  
 في انتظار أوامرك .



## المنظر الحادى عشر

مدام فنيرون ، مارى ، بلانش ، جوديت

مدام فنيرون : لنتكلم قليلا ، يا أطفالى . ولكن ينبغى ألا نتكلم كلنا فى آن واحد ، ولنحاول الإنصات إلى من تتكلم منا . السيد لوفور . . .

جوديت : [ تقاطعها ] أوه ! السيد لوفور !

مدام فنيرون : إنك لا تعرفين بعد ما أريد أن أقول . ربما كان السيد لوفور يعبر عن نفسه بطريقة فظة جداً ، ولكنى أعتقد أنه على قدر كبير من طيبة القلب والإخلاص .

جوديت : أنا أعتقد العكس .

مدام فنيرون : لماذا ؟

جوديت : ألاحظ أن حركاته من حركات الدجالين .

مدام فنيرون : أه ! وأنت ، يا بلانش ، أتلاحظين أن حركات السيد لوفور حركات رجل دجال ؟

بلانش : نعم ، بغض الشئ ، إن جوديت على حق .

مدام فنيرون : حسن جداً . على كل حال يبدو لي  
أن نصائحه ، أفضل من نصائح  
بوردون الذي لا يطلب منا أقل من  
بيع الأرض . ما رأيك ، أنت ،  
يا ماري ؟

ماري : لم أكون لي رأياً حتى الآن .  
مدام فنيرون : ها نحن أولاء لم نتقدم خطوة واحدة .  
كلميني ، إذن ، عن السيد تسييه .

ماري : يبدو لي ، دون أن أتعجل في الحكم  
ومع ما يجب علينا من احترام نحو  
السيد تسييه ، أنه يمكننا أن نحصل منه  
على شيء ما .

بلانش : ماذا تقولين ، يا ماري ؟ ليس في العالم  
كله أخطر ولا أشد نفاقاً من السيد  
تسييه .

مدام فنيرون : جوديت ؟  
جوديت : لا أدري إذا كانت ماري أم بلانش  
هي التي على حق ، ولكني أرى أنه  
لا يجوز لنا أن نعول على غير السيد  
بوردون .

مدام فنيرون : أنا لا أتفق معك في الرأي ، يا بني .

إليك غداً . ملاحظة : نلفت نظرك ،  
يا سيدتى ، إلى وجود نوع جديد جداً  
من النسيج يسمى « الحداد المتزايد »  
تقبل على لبسه السيدات الشابات ،  
ويليق أيضاً بالآنسات .

[ مارى تفتح خطاباً ثانياً وتقرأ ]

« سيدتى ، السيد دويوى يخول لك ،  
بمقتضى هذا الخطاب ، أن تؤجرى  
شقتك من الباطن وستجدين أنه أمر فى  
غاية اليسر إذا ما قبلت أن تتحملى  
بعض التضحيات البسيطة . وقد كان  
السيد دويوى يود أن يفعل لك أكثر  
من هذا ، ولكنه لا يستطيع . فلو أنه  
يسلم معك ، يا سيدتى ، بأن كل عقد  
يصبح ملغى بموت المستأجر ، لكان  
بذلك قد قرر ، بالنسبة لمنزله ، سابقة  
ذات نتائج بعيدة المدى قد يساء  
استغلالها ضد صالحه » .

[ الخطاب الثالث ]

« سيدتى ، لقد أرسلت إليك خلال  
الأسبوع الماضى لكى تسدى قيمة

القائمة التي عليك ، ولكن خدمك قد  
أجابوا الفتاة التي تقدمت لهم لهذا  
الغرض بطريقة فظة قائلين لها : إنه  
سيمر علينا أحد من قبلكم لسداد  
المبلغ . ولما كنت لم أر أحداً حتى الآن  
فلما لا أدري إلى أى شيء أعزو هذا  
التأخير الذي لا يصبح أن يستمر وقتاً  
طويلاً . فأنت تعرفين ، يا سيدتى ،  
أنى لا أجرى وراء العملاء ، ولا أبدأ  
إلى نشر الإعلانات فى الصحف ،  
ذلك الأمر الذى أتركه للمحلات  
الباريسية الكبرى لكى يتقاضوا ثمنه  
من عملائهم بعد ذلك . وإذا كنت  
أنجح فى صنع قبعات تدهش العالم  
برخص ثمنها وأبهتها ورقى ذوقها  
فلما لا أدين بذلك إلا إلى نشاطى  
التجارى والانتظام فى تحصيل الدمامات»  
[ مارى تستعد لقراءة الخطاب الرابع ، السيدة  
فنيرون توقفها ، وتستأنف البكاء ، الفتيات  
يتبادلن النظرات ويهززن رؤوسهن ، ويبدو على  
هيئتهن القلق والحزن . ينزل الستار ] .



## الفصل الثالث الديكور ذاته

### المنظر الأول

مدام دي سان جيني وروزالي

روزالي : اجلسي ، يا سيدتي ،  
مدام دي سان جيني : [ مترددة ويبدو عليها الضيق ] لا أدرى  
ماذا أفعل .

روزالي : اعتبري نفسك في بيتك الخاص ،  
يا سيدتي ، اجلسي هنا ، وخذى كل  
راحتك وضعي قدميك الجميلتين على  
هذه الحشبة .

مدام دي سان جيني : لا تلاحقيني هكذا ، يا روزالي ،  
دعيني أفكر فيما إذا كان الأفضل أن  
أنتظر أم أن أذهب ثم أعود .

روزالي : انتظري ، يا سيدتي ، أجبني طلي .  
إن عزيزتي الصغيرة بلانش ستغضب

منى إذا تبركتك تخرجين دون أن  
تقبلك .

مدام دى سان جينى : ستقبلنى بلانش فيما بعد . لى لم أجب  
إلا لرؤيتها هى ، ولكى أحدثها فى  
موضوع جدى إلى أقصى حد . ولم  
أكن أظن أن مدام فنيرون قد دعت  
بعض الأشخاص لتناول الغذاء .

روزالى : بعض الأشخاص ؟ كلا ، لا يوجد  
أحد .

مدام دى سان جينى : ألم تقولى لى إن هؤلاء السيدات يجلسن  
على المائدة ؟

روزالى : نعم .

مدام دى سان جينى : أهن وحدهن ؟

روزالى : كلا .

مدام دى سان جينى : إذن فعهن بعض الأشخاص .

روزالى : نعم [ بصوت منخفض ] السيد تسييه .

مدام دى سان جينى : أه ! السيد تسييه ! [ تقترب من روزالى ]

أهو يتردد الآن على هذا البيت ؟

روزالى : أكثر مما نريد .

مدام دى سان جينى : ولكنه مع ذلك ، يلاقى استقبالا  
حسناً ؟

روزالی : لا بد من ذلك ، يا سيدتي ، فإن حاجة هؤلاء الأنسات إلى التفاهم معه أقوى من بغضهن إياه .

مدام دي سان جيني : إلى التفاهم في أي موضوع ؟

روزالی : في موضوع ثروتهم .

مدام دي سان جيني : نعم ، يا روزالی ، في موضوع ثروتهم . [ تتركها ] أو في موضوع ثروته .

روزالی : سنتظرين ، أليس كذلك يا سيدتي ؟

مدام دي سان جيني : كلا ، سأذهب . الآن لم أعد أتردد .

فإن السيد تسييه هنا ، ولديه مع هؤلاء السيدات بعض الأمور المشتركة ويا لها من أمور ! على أية حال أنا لا أريد أن أخرج أحداً أو أكشف عن سر أحد .

[ تتجه نحو الباب ]

روزالی : هلي ستعودين ، يا سيدتي ؟

مدام دي سان جيني : سأعود .

روزالی : بالتأكيد ؟

مدام دي سان جيني : بالتأكيد . اسمعي ، يا روزالی ، إذا أرادت مدام فنيرون وبناتها أن

يخرجن ، فلهن أن يخرجن وألا يكلفن  
 أنفسهن مشقة البقاء ، وذلك فيما عدا  
 بلانش بالطبع . فلنأخذها التي  
 يجب عليها أن تبقى ، لأنني أريد أن  
 أكلمها كلاماً حاسماً ، ولآخر مرة .  
 وأنت ، يا روزالي ، باعتبارك  
 خادمتها العجوز ، قولي لها أن تعتصم  
 بالهدوء . . . وأن تروى جيداً . . .  
 وأن تسلم بالأمر الواقع . . . فلست أنا  
 السبب في موت أبيها . . . وهي تدرك  
 جيداً حرج مركزها المالي الذي لا  
 يعتبر ابني مسئولاً عنه بأية حال . . .  
 بأية حال . . . وعلى أي وجه من  
 الوجوه . . . أليس كذلك ؟ هل  
 فهمت ، يا روزالي ، ما أطلبه  
 منك ؟

روزالي : أظن أنني فهمت ، يا سيدتي ، ولكن  
 لا تعتمدى على أن أصبم عزيزتي  
 الصغيرة بلانش .

مدام دي سان جيبي : هيا ، ها هوذا الجرس يدق لاستدعائك  
 اذهبي لترى ماذا يراد منك . أما أنا



روزالى

فسأعرف كيف أجد طريقى وحدى .  
: [ وحدهما ] إن هذه المرأة تلقى الرعب  
فى قلبى .. وكلما رأيتهما ، رسمت علامة  
الصليب على نفسى بمجرد خروجها .  
[ الباب الثالث فى القاع ، الذى من جهة اليمين ،  
يفتح ، يدخل تسييه وقد وضع ذراعه فى ذراع  
مارى ، وخلفهما مدام فنيرون تتبعهما جوديت  
ومن بعدها بلانش ، روزالى تلتصق بالحناء  
حتى يمرروا ، تستوقف بلانش وتمسك بوجهها  
بين يدها وتقبلها ، تخرج من الباب الذى ظل  
مفتوحاً وتغلقه من خلفها ] .

## المنظر الثانى

تسييه ، مدام فنيرون ، مارى ، بلانش ، جوديت

تسييه : أرجو أن تسمحى لى بأن أستند عليك  
قليلاً ، فىلى لم أعتد تناول مثل هذا  
الغذاء الوفير ، وفى ضحبة أشخاص  
على هذا القدر من الجمال .. [ متوقفاً ]  
ماذا قلت على المائدة ؟

مارى : أشياء مختلفة .

تسييه : تدور حول ماذا ؟

مارى : حول الحياة بوجه عام .

- تسييه : هل ورد ذكر الأعمال ؟
- مارى : لم يرد لها أى ذكر .
- [يستأنفان السير مع ميلهما نحو اليمين ، مارى  
تتخلص منه وتبعد ]
- تسييه : [وقد رجع نحوهما] إن أحتيك لا بأس  
بهما ، ولا سينا الكبرى التى تتمتع  
بكثير من المزايا . ومع ذلك ، فإنك أنت  
التي أفضلها . وأظنك تعرفين أنى لم  
أكن دائماً رجلاً هزماً . ولا يزال  
في مقدورى أن أميز بين السمرء  
والشقرء . إنك تعجيبينى كثيراً ،  
أتسمعين ؟
- مارى : أدر وجهك قليلاً جهة والدتي .
- تسييه : أخبريني ، يا سيدتي ، لماذا لم نر  
السيد جاستون الذى يجيد توقيع  
الصكوك يتناول طعام الغداء معنا ؟
- مدام فيبيرون : [بتائر] لقد تطوع ابني في الجيش .
- تسييه : إنه الآن جندي . هذا خير ما كان  
في وسعه أن يعمل . فالجندي يتمتع  
بالمسكن والمأكل والدفع على حساب  
الحكومة . وبماذا يخاطر في سبيل ذلك ؟

بأن يقتل . وفى هذه الحالة لا يعود  
يحتاج إلى شيء .

مدام فنيرون : لقد فعل ولدى ، ما أراد هو أن  
يفعله . وسيندم ذات يوم على هذا  
القرار الذى اتخذته . فقد كان فى  
عزى ، يا سيد تسييه ، أن أتفق معك  
على تشغيله فى المصنع . وإذا بقى هذا  
المصنع فى حوزتك وحوذتنا ، كما  
أعتقد أنه سيبقى ، فقد كان فى مقدور  
جاستون بعد بضع سنين ، أن يحل  
محل والده فيه . [ منية ]

هل رأيت بوردون ؟

تسييه

كلا . هل كان من المقرر أن نراه ؟

مدام فنيرون

: [ يبدو عليه التورط ولا يجب ، يرجع إلى مارى ]

تسييه

إن أختيك لا بأس بهما ولكنهما من  
النوع الباريسى ، هذا ما يبدو عليهما  
لأول وهلة . تنقصهما النظارة حتى  
لا يخيل لمن ينظر إليك أنك تربيت  
معهن . ففى فصل الصيف تمتلىء  
خديقتى بالورود التى لا يفوق جمال  
لونها جمال خديك . لا بد أن تأتى مع

أملك وأخواتك لزيارة منزلى الريفى .  
 فإنك قد جاوزت حد الطفولة ، وأصبح  
 المرء لا يخشى معكن أن تفسدن أشياء  
 المنزل وأدواته . ولكن يجب أن  
 تتناولن طعام غداك قبل الذهاب ،  
 وأن ترجعن إلى بيتكن حينما نحين  
 ساعة العشاء . الواقع أنكن محرومات  
 من وسائل التسلية ، وهذه نزهة لطيفة  
 بالنسبة لكن .

مارى

: لا تظن ، يا سيد تسييه ، أننا نستطيع  
 الذهاب لزيارتك قبل أن نطمئن على  
 حالنا بعض الشيء . فأنت أول من  
 يعرف أن موقفنا لم يتقدم خطوة  
 واحدة ، بل لعله تعقد أكثر مما كان ،  
 هذا كل ما فى الأمر . إننا اليوم فى  
 غاية القلق أمام مطالب مورديننا القدماء  
 الذين أصبحوا دائنين ملحين لا يعرفون  
 الرفق .

تسييه

: [ يبدو عليه التوتر ولا يجيب ، يرجع نحو  
 مدام فنيرون ] إذا كان لديك بعض  
 الأعمال ، يا سيدتى ، فلا تحتجزى



نفسك من أجل ، في مقدور أنساتك ،  
 أن يتفضلن بإيناسي حتى أنصرف .  
 مدام فنيرون : تستطيع أن تبقى كما تشاء . فلن نطردك .  
 [ تذهب نحو ماري ] هل كلمت السيد .  
 تسييه ؟

ماري : كلا ، لم أكلمه بعد .  
 مدام فنيرون : أهذا يشق عليك ؟  
 ماري : نعم ، يشق على . اثنا عشر ألف فرنك .  
 هذا مبلغ ضخم يصعب طلبه .  
 مدام فنيرون : إذن ، ينبغي ألا نطلب شيئاً .

ماري : وماذا يحل بنا غداً ، إذا عهدت هذه  
 الحياطة بقائمتها إلى أحد المحضرين ؟  
 لا بد أنها ستفعل ذلك كما قالت .

مدام فنيرون : أتريد أن أنتحي بالسيد تسييه جانباً ،  
 وأن أجنبك أنت هذا الطلب ؟

ماري : كلا . ليس على إلا أن أجمع أمري .  
 وأتذرع بشجاعتي لمدة دقيقة واحدة ،  
 وسأفعل .

تسييه : [ جالس على الأريكة بالقرب من جوديت ]  
 نعم ، أنت في ود مع أخيتك ؟  
 جوديت : في غاية الود .

|       |                                                                                                                                         |
|-------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| تسييه | : من أكثر كن حصافة ؟                                                                                                                    |
| جوديت | : ماري .                                                                                                                                |
| تسييه | : الأنسة ماري . [ ينظر إليها ] أهى تفكر<br>في الزواج كثيراً ؟                                                                           |
| جوديت | : إنها لا تتكلم عنه مطلقاً .                                                                                                            |
| تسييه | : ولكنها مع ذلك تعتبر جميلة .                                                                                                           |
| جوديت | : أكثر من جميلة ، إنها ساحرة .                                                                                                          |
| تسييه | : بالضبط . [ ينظر إلى ماري مرة ثانية ] إنها<br>لا تشبه المغزل كمعظم البنات ،<br>ولكنها أيضاً لا تعتبر من البدينات .<br>أهى حلوة الطبع ؟ |
| جوديت | : إلى أقصى حد .                                                                                                                         |
| تسييه | : بسيطة اللوق .                                                                                                                         |
| جوديت | : جداً .                                                                                                                                |
| تسييه | : أهى من أولئك السيدات اللاتي يفضلن<br>الاستقرار في بيوتهن ، ويقبلن على<br>العناية بشخص هرم عن طيب خاطر ؟                               |
| جوديت | : ربما .                                                                                                                                |
| تسييه | : أهى أهل لأن يعهد إليها بمفاتيح بيت<br>بكل اطمئنان ؟ [ جوديت تنظر إليه بدمشة ]<br>ماذا تصنع الأنسة ماري الآن ؟ لماذا                   |

لا تأتي للحدث معي قليلا ؟  
 [ينفض بالجدية] لا أريد أن أحتجزك  
 أكثر من ذلك ، يا آنسة . إذهبي  
 هناك [مشيراً إلى بلدلش] مع أختك ،  
 لأنها تبدو كما لو كانت معاقبة بالوحدة  
 [مارى تقترب يذهب إليها مقدمة المسرح]  
 هذا العمل الذى تقومين بإتمامه ،  
 ماذا يسمى ؟

مارى : هذا كيس ، لا أكثر ولا أقل .

تسييه : ما القصد منه ؟

مارى : أن يعرض مع أشياء أخرى في بيع  
 لمصلحة الفقراء .

تسييه : الفقراء ؟ أهذا ما قلته ؟ أتعملين من  
 أجلهم ، في حين أنهم لا يقومون بأى  
 عمل ؟

مارى : لقد كلفتنى والدنى ، يا سيد تسييه ،  
 بأن أتقدم إليك بطلب لم تجزئوه  
 على التقدم إليك به .

تسييه : ماذا تريد ، يا ترى ؟

مارى : يبدو ، كما أخبرتك منذ قليل ، أن  
 السادة مورديننا السابقين قد قالوا

كلمتهم . لقد كنا فيما سبق نعانى  
الأمريين حتى نحصل منهم على قوائم  
الدفع ، أما الآن فهم يتنافسون في  
الطلب .

: إن هؤلاء الناس على حق ، لأنهم  
لا يطلبون أكثر من حقوقهم .

تسييه

: من سوء الحظ أننا لا نملك المبلغ الذى  
نوفى به هذه الحقوق . وهو مبلغ كبير  
بعض الشيء . اثنا عشر ألف فرنك .  
نرجوك ، يا سيد تسييه ، أن تقرضنا  
إياه فوق ما سبق أن أقرضتنا ، فإنك  
بذلك تخلصنا من تلك المتاعب الصغيرة  
التي قد تصبح فى بعض الأحيان أشد  
إحراجاً وإيلاماً من المتاعب الكبيرة .  
[ منية ]

مارى

: هل رأيتم بوردون ؟

تسييه

: كلا ، هل كان من المقرر أن نرى  
السيد بوردون ؟

مارى

: أظنكم تتفقون معى على أن هذه الحالة  
لا يمكن أن تستمر طويلاً ، لا بالنسبة  
إليكم ولا بالنسبة إلى . فهذه اثنا عشر

تسييه



ألف فرنك تطلبونها منا ، وهناك  
عشرون ألفاً تدينون بها لى ، فتكون  
جملة المبلغ الذى خرج من خزانتي  
اثنين وثلاثين ألفاً من الفرنكات .  
وبالطبع لست أقول إن هذا مبلغ  
ضائع ، لأننى أعرف كيف أحصل  
عليه . ولكن يجب أن أسترده على أية  
حال . ولعلك لا تدهشين إذا عرفت  
أنى قد اتخذت لإجراءاقى بهذا الصدد .  
لا تبك ، لا تبك يا آنستى . فإنك لن  
تربحى شيئاً من احمرار عينيك وشحوب  
وجنتيك ، فحافظى على ما تملكين ،  
على تلك المزايا الهائلة التى تخلعها عليك  
سن العشرين . فإن أية بنية فى سنك  
تتمتع بالنضارة والازدهار . لا  
تستطيع من سوء الحظ أن تظل على  
حالتها إلا إذا أرادت . أفهمين ما  
أقول ؟ إلا إذا أرادت هى . [ يتركها  
فجأة ويتناول قبعته ويذهب إلى مدام فيرون ]  
أخبرتنى الآن ثانية بناتك أنكن فى حاجة  
إلى لائى عشر ألف فرنك - لا تعلقى

بشيء . فأغلب الظن أنك في انتظار  
هذا المبلغ . سأذهب لاحتضاره .  
[ يخرج مسرعاً ]

### المنظر الثالث

الأشخاص أنفسهم ، عدا تسييه

مدام فنيرون : أشكرك يا عزيزتى ماري . إن المرء  
يبدو بمظهر الغباء ويشعر بالحجل ،  
حينما يريد الحصول على بعض النقود  
من هذا الرجل الهرم ، أعتقد أنى  
كنت سأعدل عن الطلب في آخر  
لحظة .

ماري : انتهى الأمر .

مدام فنيرون : جوديت ؟ أين أنت ، يا بنيتى ؟  
جوديت : سأترككن ، لأنى فى حاجة إلى بعض  
الراحة .

مدام فنيرون : انتظرى معنا ، أرجوك أن تنتظرى  
معنا .

جوديت : ولكن ، يا أمى . . .

مدام فنبيرون : [ بلهجة الأمر ] : انتظري هنا . [ جوديت

تطيع على كره منها ، وتقترب من أنها ] إن موقفنا في غاية الخطورة . ألا يهملك ؟  
إننا لن نوفيه حقه من الكلام مطلقاً ،  
مهما تكلمنا .

جوديت : ما فائدة الكلام عنه . إننا نكرر دائماً

نفس الكلام دون أن نتخذ أى قرار  
مهما صغر . لا بد لنا من سيده غيرك  
لكي نخرجنا من هذه الورطة . ألا  
ترين ؟

مدام فنبيرون : قولي لي بصراحة إنني لا أوذي واجبي

جوديت : أنا لا أقول ذلك . والذنب ليس  
ذنبك ، إذا كنت لا تعرفين شيئاً في  
الأعمال .

مدام فنبيرون : إذن خذي ، أنت ، على عاتقك أن

تدبري لنا هذه الأعمال .

جوديت : لا قدر الله ! إنني أتوه في عملية جمع

بسيطة .

مدام فنبيرون : نحن لا نطلب منك أن تقوى بعملية

جمع . بل أن تظلي معنا ، وأن

تشركي فيما نقول ، وأن تدلي فيه

برأيتك إن كان لك رأى .

جوديت : أنتم تعرفون رأيي جيداً . وهو أننا لن  
نعمل شيئاً ، وليس فى مقدورنا أن  
نعمل شيئاً .

مدام فنيرون : ولكن ، يا بنيتى ، إذا كانوا يريدون  
سرقتنا .

جوديت : ليكن ! فليسرقونا . فلست أنا ولا  
أنت اللتين سنمنعهن . وليست مارى  
أيضاً . إنما الآن نؤجل ، ونؤجل لكى  
نسلم دفعة واحدة . الحقيقة أنى أفضل  
ألف مرة ، ألف مرة ، أن نلتهى  
من المسألة كلها منذ الغد ، وأن  
نأخذ ما يقدمونه لنا ، ما داموا  
يريدون أن يقدموا لنا شيئاً ما .  
وإذا ما انتهينا من الماضى استطعنا أن  
نفكر فى المستقبل .

مدام فنيرون : إنك تتكلمين عن المستقبل بكل  
استخفاف .

جوديت : إنه يشغل بالى ، ولكنه لا يخيفنى .  
فبلائش وحدها هى التى تستحق الرثاء .  
لقد فقدت زوجاً كان يروقها .



مدام فنيرون : انظري ، يا بنيتي إلى كل تلك  
الحماقات التي تفوهت بها في ظرف  
خمس دقائق . لقد بدأت بحرج  
خاطري ، وثبتت بتثييط همة إحدى  
أختيك ، وها أنت ذى تثيرين  
شجون الأخرى .

جوديت : [تذهب إلى بلانش] هل أغضبتك ؟  
بلانش : كلا ، لم تغضبيني . ولكنك تتكلمين  
عن السيد دى سان جيني دون أن  
تعرفيه . لقد كنت سعيدة عند ما  
ظننت أني سأقدم لها مهراً . وإذا كنت  
قد فقدت المهر ، فإنه ظل يحبني ،  
ويظهر لي نفس رغبته السابقة في  
زواجي . أما العقبات فإنها تأتي من  
جانب أمه . ولا بد لكل أم أن  
تستسلم ، إن عاجلاً وإن آجلاً ، وستفعل  
مدام دى سان جيني ما يفعله غيرها  
من الأمهات [تغير نغمتها] ستري من  
الأحكام أن تمنحنا موافقتها حين تری  
أننا مصممان على الاستغناء عنها ، إنك  
على حق ، يا أختي الكبرى ، حين

ترين أننا لا ندافع عن أنفسنا دفاعاً  
جدياً ، ولكن هذا القرار الذي ينقصنا  
اتخاذهُ في علاج مصالحنا لن ينقصني ،  
أنا فيما يتعلق بزواجي ، وهذا  
ما أعدك به .

مدام فنيرون : آه ! إلى هذا الحد ! لقد أصبحت  
لا أفهمكن ، يا بنيتي ، إنكن تتكلمن  
دائماً عن قرار يجب علينا اتخاذه ،  
وترين أنه ينقصنا الحسم في اتخاذ  
قرار ، وأنه لا مناص لنا من اتخاذ  
قرار . ولكني حين أقترح عليكم  
إجراء حقيقياً ، تسارعن بالإعراض  
عنه . هل ترين أن نترك السيد  
بوردون ، وأن نستعيض عنه بغيره ؟  
أجبني بنعم أو بلا .

ماري : نستعيض عنه بمن ؟  
مدام فنيرون : بمن ؟ بأي موثق آخر . [ لجوديت ]  
بذلك السيد الذي أرسل إلينا بطاقته .  
جوديت : نعم ، لنأخذ هذا السيد موثقاً لنا . إني  
أرحب بذلك .

ماري : وأنا أعارض فيه .

مدام فنيرون

: ألا ترين ؟ أنصتن ، يا بنياتي ، إن  
والدتك هي التي ستعمل على التوفيق  
بينكن . إذا عاد السيد بوردون فقال  
لي كلمة ، كلمة واحدة في غير  
محلها ، فسأفصله وأرسل في استدعاء  
هذا السيد . فأين هي البطاقة ؟ يا بني  
عنها يا جوديت في هذا الصوان ،  
يا بني بعناية . [ صت ] اذهبي  
يا ماري إلى البيانو ، فلعل هذه  
البطاقة فوقه . وأنت أيضاً ، يا بلانش  
اشتركي في البحث ، أنظري فوق  
المدفأة . [ صت جديد ] ، أكفني عن  
البحث يا بنياتي ، فقد كانت هذه  
البطاقة في جيبي . [ لجوديت ] لماذا  
تضحكين .

جوديت

: أضحك حين أفكر في أن خصوصنا  
يعرفون جيداً كيف يستخدمون  
وسائلهم .

مدام فنيرون

: [ بجزن ] هل ستعودين إلى ما كنا فيه ؟  
جوديت : كلا ، لست أريد العودة إلى ما كنا  
فيه . وإنما أرجوك المعلقة . وإذا

كنت تريننى أغضب بعض الشيء ،  
 فذلك بالرغم منى . كنت أريد أن  
 تنهى كل هذه المسائل ، لأنها تضايقنا  
 ولأنها تملأ نفوسنا بالسخط . ولأننا  
 نتشاجر فيما بيننا بدلا من أن نحارب  
 غيرنا . وقد يظن أننا كنا أكثر تحاباً  
 فيما بيننا حينما كنا أسعد مما نحن الآن ،  
 ولكن الحقيقة على عكس ذلك .

[ تقبل أمها ، ماري وبلانش تقتربان كل منهما  
 من الأخرى ، تأثر عام ]

: [ داخلة ] السيد بوردون ، يا سيدتى .

: فى هذه المرة ، سأصرف .

: اذهبي ، يا بنياتى ، لكى تسترحن ،

سأستقبل ، أنا ، السيد بوردون .

روزالى

جوديت

مدام فنيرون

## المنظر الرابع

مدام فنيرون ، بوردون

: كان فى عزمى ، يا سيدتى ، أمام

الإهمال الذى باءت به نصائحى ، أن

أترك الأمور تسير على رسلها ، وأن

أدع لك كل الحرية فى أن تجيئى إلى

بوردون



حين تقتنعين بضرورة ذلك . ولذلك  
أمل ألا تظني أن لي ضلعاً في هذا الخبر  
السيء الذي كلفت بحمله إليك . .

مدام فنيرون : لقد اعتدت ، يا سيد بوردون ، على  
مقابلة الأخبار السيئة بكل اطمئنان .

بوردون : هذا هو الواجب يا سيدتي ، هذا  
هو الواجب . فإن الحالة التي وصلتم  
إليها تجعل من التذرع بالشجاعة  
والاستسلام ضرورة لا مفر منها .

مدام فنيرون : يبدو لي ، يا سيد بوردون ، أن أعملى  
ستكلفك كثيراً من الجهد بالنسبة إلى  
الثمرة القليلة التي ستجنيها من ورائها .  
وقد سمعت الآن عن شخص يمتاز  
بالأمانة الفائقة والذكاء النفاذ ، وفي  
مقدوره أن يأخذ على عاتقه هذه  
الأعمال .

بوردون : حسن جداً ، يا سيدتي ، حسن جداً .  
لعله كان من الأليق لي أن أجنب  
نفسى هذه الزيارة ، وأن أكتفى  
بالاستفهام عن رأيك . ولكن لا أهمية  
لذلك . هل تفضلين أن أبعث إليك

هنا بكل أوراقك ، أم سترسلين إلى  
مكتبي من يتسلمها ؟

مدام فنيرون : [ مضطربة ] ولكني لم أتعاهد بعد مع هذا  
الشخص ، فلننتظر ، لا داعي  
للسرعة .

بوردون : بلى ، يا سيدتي ، بلى ، إن كل شيء  
يدعو إلى الإسراع على عكس ما  
تظنين . فما دمت قد وجدت رجلاً  
كفءاً محنكاً حتى الضمير ، رجلاً  
يشبه أن يكون وكيل أعمال على  
ما يبدو ، فإنه لا يحق له أن يضيع  
دقيقة واحدة ، وعليه أن يبدأ فوراً  
في دراسة هذه التركة التي لا يعرف  
حتى أول حرف من حروفها .

مدام فنيرون : ومن قال لك إنه وكيل أعمال ؟

بوردون : مجرد تخمين . هل تعدينني فضولياً ،

إذا سألت عن اسم هذا الشخص ؟

[ مدام فنيرون تتردد قليلاً ، ثم تخرج البطاقة

من جيبها وتناولته إياها ، يبتسم ]

اسمحي لي يا سيدتي ، أن أقدم لك

رأياً أخيراً ، ولك أن تفعل به ما

تشائين . لبراسو ، صاحب هذه  
البطاقة ، وكيل قضايا سابق اضطر إلى  
الاستقالة من منصبه على أثر اختلاسات  
ولعلك تجهلين أن كلا من هيئة  
وكلاء القضايا وهيئة موثقي العقود  
تطرد الفاسدين من أعضائها دون  
رحمة . وقد لجأ لبراسو ، بعد هذه  
المغامرة السيئة ، إلى فتح مكتب أعمال  
بالقرب من دار القضاء . أما ما يجري  
في هذا المكتب ، فليست مكلفاً بأن  
أحدثك عنه ، ولكنك أنت التي  
ستأتين إلى بعد قليل لكي تحدثيني عنه .

مدام فنيرون : مزق هذه البطاقة ، يا سيد بوردون ،  
وحدثني عن موضوع زيارتك .

بوردون : لعلك كنت تستحقين يا سيدتي ،  
أن تتركى بين يدي لبراسو . كان  
لا بد له في هذه الحال أن يتفق مع  
دجال من نوعه ، كلوفور مثلاً ،  
وحينئذ تقول إليهم تركة السيد فنيرون  
بجدا فيرها . إنك تعرضين عني لأنني  
لا أشاطرك أو هامك . أنا مخطئ فيما

أقول ؟ احكمي أنت بنفسك . فأمام  
إصرارك على الاحتفاظ بأرضك ، ذلك  
الإصرار الذي آسف له ، وجدتني  
مضطراً إلى الوقوف على حالة هذه  
الأرض بالضبط ، ورحت أقلب في  
كتلة الرهون التي عليها ، فرأيت أن  
أحدها قد حل موعد إيفائه . وشرعت  
من فوري في الكتابة إلى صاحبه لكي  
يبدأ أجله ، فرفض . أتدري مقدار  
المبلغ الذي يجب سداؤه في أقرب  
وقت ؟ أكثر من ستين ألف فرنك .

مدام فنيرون : وماذا سنفعل ؟

بوردون : هذا ما أسألك عنه . ولكن ليس ذلك

كل شيء ، فالوقت يمر بسرعة

البرق ، ولا بد من دفع مصاريف

الأيلوله ، فهل أنت على استعداد

لذلك ؟

مدام فنيرون : ولكن مبادئ لا تساوي شيئاً في رأيك

يا سيد بوردون ، فإذا كان لا يوجد

أى شيء ، لم يحق للضرائب أن

تطالب بشيء .



بوردون

: هذا تقدير خاطئ . فليس من عادة  
الضرائب أن ترتبك في شأن التركات ،  
إنها تتقاضى عما تراه أمامها ، دون  
أن تشغل نفسها بما قد يكون عليه من  
دين .

مدام فنيرون

: أنت واثق من ذلك ؟

بوردون

: ما هذا السؤال الذى توجهينيه إلى  
يا سيدتى ؟ إن أصغر كاتب فى  
مكتبى ، وهو غلام فى الثانية عشرة  
من عمره ، يعرف هذه الأشياء كما  
أعرفها أنا بالضبط . انظرى إلى مدى  
العناء الذى نلاقه مع أمثالك من  
العملاء ، فليس يكفى أن نكافح من  
أجل مصالحهم ، بل لا بد لنا أيضاً  
من الكفاح ضد جهلهم . ولكن  
لندع هذه المسألة جانباً ، فلا فائدة  
من تكرار الكلام فيها . ولنتكلم الآن  
فى شىء آخر . فبينما أنت تجولين  
وتصولين دون اتخاذ أى قرار ،  
منتظرة لا أدرى أى معجزة لم تظهر  
لها بواحد حتى الآن ، سارع تسييه ،

كما هي عادة رجال الأعمال دائماً ،  
 باتخاذ الإجراءات اللازمة ، فعهد  
 بالمصنع إلى بعض الخبراء ، وقد  
 انتهى هؤلاء السادة من وضع تقريرهم  
 وبناء على ذلك أرسل إلى تسييه أمراً  
 بعرض مؤسستكم للبيع .

: أنا لا أصدقك .

مدام فنيرون

: كيف لا تصدقيني يا سيدتي ؟

بوردون

[ يخرج خطاباً من جيبه ويناولها إياه ] . إن  
 خطاب تسييه في غاية الجلاء ، ولم  
 ينس أن يضع فيه النقط على الحروف  
 كما هي عادته .

: دع لي هذا الخطاب يا سيد بوردون .

مدام فنيرون

: لا أدرى ماذا تريد أن تصنع به ،

بوردون

فضلاً عن أنه يجب أن يبقى في سحلي .

: سأرده إليك اليوم ، إذا أصر السيد

مدام فنيرون

تسييه على قراره .

: كما تريد .

بوردون

: إنك تجهل ، يا سيد بوردون ، أن

مدام فنيرون

علاقتنا بالسيد تسييه أصبحت ودية

للغاية .

بوردون : ولماذا لا تكون ودية ؟  
مدام فنيرون : إنه معجب ببناى .  
بوردون : هذا حسن ، هذا حسن جداً ،  
يا سيدتى .

مدام فنيرون : لقد تغدى عندنا اليوم .  
بوردون : لم يكن يدهشى إلا أن تستطيعوا  
أنتم تناول الغداء عنده .

مدام فنيرون : أخيراً استطعنا أن نحدثه عن متاعبنا ،  
وقد قبل أن يقرضنا مبلغاً كبيراً  
نوعاً ما ، لم يكن هو الأول .

بوردون : لماذا تطلبون نقوداً من تسييه ؟ وأين  
أنا ؟ ألم أقل لك ذلك يا سيدتى ؟  
بطبيعة الحال لن نجدى لدى  
الأربعمائة أو الخمسمائة ألف فرنك التى  
تحتاج إليها مبانيك الوهمية . كما أن  
تسييه أيضاً لن يقدم لك هذا المبلغ ،  
ذلك ما لا شك فيه . ولكنى أنا ،  
موثق عقودك ، الذى يجب على القيام  
بسداد حاجاتك اليومية ، وقد كنت  
أود من صميم قلبى أن تسألينى ذلك  
قبل أن أعرضه ، أنا عليك .

مدام فنيرون

: أرجوك أن تسامحني ، يا سيد بوردون ،

فقد كنت أشك في نواياك طوال هذه  
الفترة الأخيرة . ولكن لا تؤاخذني  
على ذلك ، لأن هذه المشاكل  
والتعقيدات كادت تذهب بعقلي .  
وأنت على حق حين قلت إنى جاهلة .  
ولو أنى طاوعت نفسى لاعتكفت في  
غرفتي وقضيت كل وقتى في بكاء  
زوجى ، ولكن ماذا عسى أن يقول  
الناس في أم لا تدافع عن حقوق  
أطفالها ؟

[ تلتج وتذهب لترتمى على الأريكة وهى تبكى ]

بوردون

: [ يذهب إليها ، بصوت منخفض ] سأبذل ما فى

وسعى لكن أقنع تسييه بتأجيل بيع  
المصنع إلى وقت آخر ، ولكن بشرط  
أن تتخلصى من أرضك . [ تنظر إليه بإيمان ]  
أتدريين لماذا أتمسك بهذا الشرط الذى  
هو فى صالحك من جميع الوجوه ؟  
ذلك لأنى لا أريد أن أتعب نفسى  
عيثاً ، لا أريد أن أخدم مصالحك من  
هذه الجهة فى حين أنك تفسدينها من



الجهة الأخرى .

[هنية]

مدام فنيرون : [لروزالى التى دخلت] ماذا تسريدين  
يا روزالى ؟

روزالى : السيد مركنس جاء لزيارتكم  
يا سيدتى .

مدام فنيرون : [ومى تنهض] حسن جداً . أدخله  
[لبوردون] أسمح أن يؤنسك السيد  
مركنس لحظة حتى أذهب لمشاورة  
بناتى ؟

بوردون : اذهبي ، يا سيدتى ، اذهبي .  
وشاورى بناتك .  
[تخرج من الباب الأيسر]

### المنظر الخامس

بوردون ، مركنس

مركنس : [داخلا] السيد بوردون ! يا لها من  
مصادفة !  
[يلهب نحوه]

بوردون : يومك سعيد ، أيها الشاب [يتصافحان]

ماذا جرى لك منذ ذلك العشاء السيئ  
الذى دعوتك إليه ؟

مركنس : لم يكن العشاء سيئاً ، ولكن من سوء  
الحظ أننا تناولناه بعد مشهد مقلق  
للراحة .

بوردون : فى الواقع . كانوا قد أحضروا أمام  
أبصارنا السيد فنيرون ، ذلك المسكين  
مركنس : وما الذى أوحى إليك بتلك الفكرة  
الغريبة ، أعنى دعوتى إلى المطعم فى  
هذا اليوم ؟

بوردون : أنت الذى أوحيت إلى ذلك . فقد قلت  
لى ، ونحن تغادر باب المنزل : أنا  
لا أحب كثيراً أن أرجع إلى بيتى  
ببدلة فرح ومعدة خاوية . وحينئذ  
أجبتك بقولى : هيا تناول العشاء  
معاً ، وبعد العشاء نستطيع أن نقضى  
السهرة فى مكان ما . فماذا حدث ؟  
أكلنا على أطراف شفاها دون شهية ،  
وما كدنا ننتهى حتى رأينا أنفسنا  
نسارع بالذهاب إلى بيوتنا . فترى أن  
المرء أكثر تأثراً بموت الآخرين مما

يظن لأول وهلة ، ولا سيما إذا كان  
موتاً عنيفاً ، ذلك لأن الإنسان يفكر  
رغم إرادته أنه قد يصاب بمثله في  
الغد ، ولذا لا يشعر بأى ميل للضحك .

: أنتظر مدام فنيرون ؟

مركنس

: نعم ، وما كان ينبغي لى أن أنتظرها ،

بوردون

ولكن مدام فنيرون ليست عميلة عادية  
بالنسبة لى ، ولذلك لا أحجم عن  
تدليلها . أظن أنك لم تعد تعطى  
دروساً هنا ؟

: لقد توقفت الآنسة جوديت عن تلقى

مركنس

هذه الدروس منذ وفاة والدها .

: أعتقد أنه ينبغي لك ألا تعول على هذه

بوردون

التلميذة منذ الآن ، وأن تبحث لك عن

غيرها .

: لماذا ؟

مركنس

: لسبب بسيط . . . وهو أن الظروف

بوردون

الجديدة التى تعيش فيها هذه الأسرة

تضطرها إلى الاقتصاد الشديد فى

ميزانيتها .

: كلا .

مركنس

- بوردون : بلى .
- مركنس : بجد ؟
- بوردون : بغاية الجد .
- \* [ هنية ]
- مركنس : ومع ذلك فقد كان السيد فنيرون ثرياً .
- بوردون : لم يكن السيد فنيرون ثرياً ، وإنما كان يربح كثيراً من النقود ، وهذا كل ما فى الأمر .
- مركنس : ولكنه لم يكن ينفقها ؟
- بوردون : كان يقامر بها ، وهذا أسوأ فى بعض الأحيان .
- مركنس : كنت أظن أن هذا الوالد البدين قد ترك ثروة لزوجته وأولاده .
- بوردون : ثروة ! إنك تسدى إلى معروف لو أرشدتني أين توجد هذه الثروة ، الحقيقة أن أسرة فنيرون ستجد نفسها بين لحظة وأخرى فى وضع مالى جد عسير ، وفى وسعى أن أقول - دون أن أمن بإخلاصى لها - إنها إذا استطاعت الاحتفاظ بكسرة من



الحيز ، فالفضل في ذلك إنما يرجع  
إلى أنا .

مركنس : إلى هذا الحد !  
بوردون : هذه هي الحال ، أيها الشاب . احتفظ  
بهذا السر لنفسك ، واستفد من ذلك  
الخبر ، إذا وجدت فيه ما يفيدك .

مركنس : [ بنمة بين بين ] وماذا يقال هنا عن  
ذلك الموقف ؟

بوردون : ماذا تريد أن يقال ؟  
مركنس : لا بد أن كل هؤلاء النساء يشعرون  
بالأسى والحسرة .

بوردون : بالطبع ، ليس من شأن هذا الموقف  
أن يبهجهن .

مركنس : أهن يبيكين ؟  
بوردون : لا يكففن عن البكاء .

مركنس : [ يذهب نحوه مبتسما ] هل تسمح بأن  
تقدم لي خدمة صغيرة ؟ أرجو لو  
تفضلت بإخبار مدام فنيرون بأنه لم  
يكن لدى إلا دقيقة واحدة ، وإني  
خشيت أن أزعجهن ، وسأتي لرويتهن  
في وقت قريب .

- بوردون : ولكن هل ستأتى حقاً ؟
- مركنس : غير محتمل بالمرّة .
- بوردون : انتظر إذن ، أيها الشاب ، ما دمت هنا ، فلن نخسر أكثر من الإنصات لحظة إلى هذه المرأة المسكينة ، ولكنها فى مقابل ذلك ستعترف لك بالفضل على هذه المحاملة البسيطة ، لأنها تشعر جيداً بأن مصائبها لا تهم أحداً .
- مركنس : هل أنت متأكد من أن الآنسة جوديت لن تستأنف دروسها ؟
- بوردون : كل التأكيد .
- مركنس : ألا ترى شيئاً فى المستقبل قد يساعد مدام فينيرون أو بناتها على تحسين مركزهن ؟
- بوردون : لا شيء مطلقاً .
- مركنس : لا بد أن أسارع بالخروج . فليست التفاهات التى سأقولها لمدام فينيرون هى التى ستعزيها . ثم لى أعرف نفسى جيداً . فقد ينزلق لسانى بكلمة حمقاء .
- أما أنت فتستطيع بخبرتك العظيمة فى

هذه المسائل أن تخترع لى عدراً مقبولا  
لديها . هيه ؟

بوردون : كما تريد .

مركنس : شكراً . وداعاً يا سيد بوردون .

بوردون : وداعاً .

مركنس : [ عاندا ] حتى أى ساعة يستطيع المرء

أن يجده فى مكتبك ؟

بوردون : حتى الساعة السابعة .

مركنس : سأمر عليك ذات يوم لنذهب معاً إلى

المسرح ، أهذا يناسبك ؟

بوردون : بكل سرور .

مركنس : أيهما تفضل الموسيقى العالية ، أم

الموسيقى الخفيفة ؟

بوردون : الخفيفة

مركنس : الصغيرة . إنك تريد أن ترى السيقان

الجميلة ، ليكن ، سنريك سيقاناً

جميلة . ولكن اسمع ، ادع الله ألا

يبلينا بصريع آخر يفسد علينا سهرتنا .

إلى اللقاء ؟

بوردون : إلى اللقاء ، أيها الشاب .

[ يخرج مركنس من باب القاع ، بينما تدخل

مدام فنيرون من الباب الأيسر ] .

## المنظر السادس

بورردون ، مدام فنيرون

مدام فنيرون : أهو السيد مركنس الذي خرج دون

أن ينتظرنى ؟ لماذا يا ترى ؟

بورردون : لقد وجد هذا الشاب نفسه فى موقف

حرج يا سيدتى ، إذ أنه لما رأى هنا

شعر أن لديك أموراً أخرى أهم من

استقباله ، ففضل أن يؤجل زيارته

لفرصة أحسن من تلك .

مدام فنيرون : لقد أخطأ التقدير . فقد أبلغت بناتى ،

وكن على استعداد لاستقباله بدلا منى .

بورردون : نعم يا سيدتى ، هل أدت المشاورات

التي أجريتها مع بناتك إلى نتيجة ما ؟

مدام فنيرون : كلا ، يا سيد بورردون .

بورردون : ماذا تنتظرن إذن ؟

مدام فنيرون : لن نعمل شيئا قبل أن نرى السيد

تسييه .

بورردون : وماذا تؤملين أن يقول لك ؟

مدام فنيرون : نعم ، وإن مقاصده واضحة كالشمس

فهو اليوم كما كان بالأمس يريد أن



يبيع مؤسستنا . ولكنه مع ذلك يعلم  
تمام العلم أن هذا المشروع سيقضى  
علينا قضاء مبرما ، ولذلك لا يجوز  
على أن يكلمنا فيه بنفسه . فرأينا أن  
نضعه وجهاً لوجه أمام ما دبره ،  
ولن نخفى عنه شناعة الفعل الذى هو  
مقدم عليه .

بوردون

: من المبالغة يا سيدى ، أن تصفى مثل  
هذا الفعل بالشناعة . وإني أشك كل  
الشك أن يكون لتلك اللغة أثر طيب  
فى نفس خصمك .

مدام فنيرون

: لست أنا التى سأحدث مع السيد  
تسييه — لأنه إذا كان الصبر قد  
أعوذنى فى المرة الأولى ، فقد يعوذنى  
أيضاً فى المرة الثانية . هذا إلى أنى بعد  
أن تحققت من الطريق الذى تسير فيه  
الأمور ، كنت أنوى تركها تنتهى  
بأى شكل ، لولا ما أظهرته إحدى  
بناتى من مثابرة لا تتوفر لنا نحن ، لا  
لى ولا لأخواتها . ومن المصادفات  
العجيبة أن السيد « تسييه » يبدى نحوها

ميلا خاصاً ، ولذا ربما تنجح في  
أن تثنيه عن عزمه .

بوردون : لا مؤاخذه ، يا سيدتي : أتقولين إن

السيد تسييه مأخوذ بإحدى بناتك ؟

مدام فنيرون : هذا ما يبدو ، على الأقل .

بوردون : من منهن ؟

مدام فنيرون : ثانية بناتي ، ماري .

بوردون : وهل تبدى الآتية ماري من جهتها

بعض الاستجابة لهذا الميل الذي يظهره

السيد تسييه نحوها ؟

مدام فنيرون : ماذا يدور بخلدك ، يا سيد «بوردون» ؟

أظنك لا تفكر مطلقاً في احتمال أن

تزوجها ؟

بوردون : تمهلي قليلاً ، يا سيدتي . إذا كان تسييه

على استعداد لأن يتزوج هذه الفتاة ،

فإنها لن تعقد صفقة خاسرة إذا

استجابت لطلبه ، ولكنني حين سألتك

كنت أفكر في شيء آخر . فالسيد

تسييه لم يعد شاباً . وأنت تعلمين . ولا

شك أنه اليوم في سن تجعله عرضة

للموت بسبب أقل مرض يصاب به .

فلماذا كان هذا العطف المفاجئ الذى  
يشعر به نحو ابنتك من شأنه أن يحمله  
فيما بعد على اتخاذ بعض الإجراءات  
لمصلحتها ، فقد يكون من مصلحتكم  
ألا تثيروا حفيظة هذا الهرم ، وأن  
تظل علاقاته بكم على أحسن ما يرام .

مدام فنيرون : إننا لا ننتظر شيئاً من السيد تسييه .

فليعيش أقصى عمر ممكن ، وليفعل  
بثروته ما يشاء . ولكن هذا المصنع  
الذى ينوى بيعه مصنعنا كما هو  
مصنعه ، بل أكثر مما هو له . إنه  
يسعى استعمال الحق الذى يخوله له  
القانون ، حين يتصرف تبعاً لهواه فى  
عمل يرجع الفضل فيه لزوجى ،  
وأصبح اليوم ملكاً لأطفالى .

بوردون : لك رأيك ، يا سيدتى .

روزالى : [ داخله ] السيد تسييه قد حضر  
يا سيدتى .

مدام فنيرون : انتظري قليلا ، يا روزالى [ لبوردون ]  
هل من الضرورى أن تتقابلا معاً ؟

بوردون : نعم ، أفضل ذلك . وأحب أن تفهمى

موقفى جيداً ، يا سيدتى : فلانى تحت  
أمر السيد «تسييه» وتحت أمرك على  
السواء . ولست أفرق بينكما . ولكنى  
أود أن تقررا شيئاً ، لكى أعرف  
ما يجب على أن أفعله .

مدام فنيرون : حسن جداً . سأبحث إليك يا بني .  
[ تعود من الباب الأيسر وهى تشير إلى روزال  
بأن تدخل تسييه ] .

## المنظر السابع

بوردون ، تسييه

بوردون : أهو أنت ؟  
تسييه : نعم ، إنه أنا .  
بوردون : أتدرى ماذا علمت الآن ؟ إنك لم تعد  
تغادر هذا البيت .  
تسييه : لقد جئت فى بعض الزيارات . فأنى  
ضير فى ذلك ؟  
بوردون : إذا كنت فى خصومة مالية مع هذه  
الأسرة ، فهل تسمح لنفسك بالجلوس  
على مائدتها ؟  
تسييه : ماذا تريد أن تأخذه على ، إذا كانت



- حركاتي لا تعرقل حركاتك ؟
- بوردون : إن طريقي غير ممد ، لأنك تضع فيه العراقيل .
- تسييه : سر دائماً على النحو الذي اتفقنا عليه ،
- أنفهم ما أقول يا بوردون ؟ لا تشغل بالك بتصرفاتي .
- بوردون : ستحصل الآنسة ماري منك على ما تريد ،
- تسييه : الآنسة ماري لن تحصل مني على شيء
- بوردون : يبدو أنك تشعر بميل نحو هذه الفتاة .
- تسييه : من قال لك ذلك ؟
- بوردون : أمها .
- تسييه : ولماذا تتدخل فيما لا يعنيها ؟
- بوردون : أعد نفسك لشرك تنصبه لك فتاتك الساذجة . هأنذا أحذرك من أنهم يعولون عليها في التغلب عليك .
- تسييه : خذ قبعتك يا بوردون ، وعد إلى مكتبك .
- بوردون : ليكن ! كما تريد ! [ يذهب إلى تسييه ]
- لن أنتظر بعد الآن ، هيه سأضع الجديد في النار .

تسييه

: حسن جداً . [ يحتجز بوردون ] اسمع  
يا بوردون ، هل سبق لى أن خدثتلك  
عن مقابلتى للوفور فى أوانها ؟ كان  
أمامنا فى هذه المسألة شريك متعب ،  
فكان من الحكمة أن نغريه بمساندتنا .  
ولذلك سيظل مكلفاً بإتمام البناء .

بوردون

: كيف ذلك ؟ أتعامل مع لوفور بعد  
هذا المشهد المهين الذى تناولنا فيه  
بالسباب ، أنت وأنا ؟

تسييه

: أما زلت تفكر فى ذلك ؟ لو كان يجب  
على المرء ، يا صديقى ، أن يكف عن  
روية الناس من أجل بضعة شتائم  
يتبادلها معهم ، لما بقى مكان لوجود  
علاقات ممكنة بينهم .

بوردون

: على أية حال هذا شأنك . لا أدرى  
لماذا أتدخل فيما لا يعنينى . لقد وعدتك  
أن تحصل على الأرض ، وستحصل  
عليها . أما الباقى فلا يعنينى [تدخل ماري ،  
يلدب إليها ويكلمها همساً] . سأتركك  
مع تسييه ، يا آنستى ، فحاولى أن  
تقنعيه ، إن المرأة تنجح أحياناً حيث

نفشل نحن . وإذا حصلت منه على  
 شيء ما ، فلا شك أنك ستكونين  
 أسعد وأمهر مني .  
 [ يخرج ]

## المنظر الثامن

تسييه ، ماري

: هذا هو المبلغ الذي طلبته مني . لقد  
 لقد قلت لي إنكم تريدون به سداد  
 ديون الموردين . فاستقبلهم أنت  
 نفسك . افحصي القوائم التي تقدم  
 إليك ، ولا تخشى أن تخفضي قيمتها  
 بأقصى ما يمكن ، واحذري ، بوجه  
 خاص ، أن تدفعي قيمة القائمة مرتين  
 [ يحتجز ماري ] أين إيصالى ؟

تسييه

: سأحضره إليك بعد قليل .  
 : كان يجب على أن أقبض عليه بإحدى  
 يدي وأعطيك النقود باليد الآخر .  
 فأنا الآن بلا ضمان [ تذهب إلى المنضدة  
 الصغيرة « السكرتير » ] وتضع ورق النقد

ماري

تسييه

في درجها . تعود . [ فترة صمت ] لديك  
 أمر تريد أن تدلى به إلى ، ولدى ،  
 أنا أيضاً ، أمر آخر . تعالى واجلسي  
 بجانبى . هيا ، ولنتحدث معاً كصديقين .  
 [ يجلسان ] ماذا قررت أن تعملى ؟

مارى

تسييه

: لست أفهم سؤالك .  
 : ولكن سؤالى فى غاية البساطة بالرغم  
 من ذلك . لقد سبق أن أخبرتكم بأنه  
 سيثول إليكم مبلغ خمسين ألف فرنك ،  
 لن يثول إليكم أكثر من ذلك . وأظن  
 أنكم لن تحتفظوا بهذا المسكن ، وتبقوا  
 على مائدتكم عامرة بالطعام ، حتى  
 تنفقوا آخر مليم معكم . فإذا قررتم  
 أن تعملوا ؟

مارى

: هناك قريب لوالدتي يقيم فى إحدى  
 مدن الأقاليم ، وقد عرض علينا أن  
 نقيم معه .

تسييه

: إن قريبكم هذا ككل الأقارب ، وقد  
 قدم لكم هذا العرض فى انتظار أن  
 تدفعوا الثمن ، ولن يتردد فى سعيه ،  
 إذا علم أنه هو الذى سيدفع من جيبه .



- مارى : فى هذه الحال سنبقى فى باريس .
- تسييه : وماذا ستفعلون فى باريس ؟
- مارى : إن أختى الكبرى مستعدة لإعطاء  
دروس فى الموسيقى بمجرد أن ترانا  
محتاجين لذلك .
- تسييه : حسن جداً . إذا كانت أختك الكبرى  
قد اتخذت هذا القرار ، فلن تلبث أن  
تشعر بأن أسرتها عبء لا يحتمل ،  
فستعمل على أن تكون ثمرة عملها  
لنفسها ، وهذا عين الصواب .
- مارى : ولكنى ، أنا أيضاً ، أنوى أن أعمل .
- تسييه : ماذا تعملين ؟
- مارى : آه ! ماذا أعمل ؟ لا أدرى حتى الآن .  
إن العمل عسير الوجود بالنسبة للمرأة  
ولإذا وجد كان ضئيل الثمرة .
- تسييه : هذا ما أردت أن أقوله لك  
[ فترة صمت ، يستأنف الكلام مع التردد والحيرة ]  
إنى أعرف بيتاً تستطيعين الذهاب إليه  
والاستقرار فيه ، إذا أردت . وهناك  
سيتوفر لك المسكن والمأكل ،  
وستتقاضين فى نهاية كل شهر مبلغاً

صغيراً تستطيعين ادخاره للمستقبل .

وبذلك لا تحملين هم نفسك .

: أي منزل ؟ . . . أهو منزلك ؟

: [ بشبه ابتسامة غامضة ] منزلي .

: [ يبدو عليها الانفعال ، ودون أن تدري لماذا

تفسر كلام تسييه بالضبط ولا لماذا تجيبه ]

إن اقتراحتك هذا غير ممكن ، أولاً

لأن أمي لن تسمح لي بالابتعاد عنها .

: نعم ، كنت أخمن أن والدتك ستثير

العقبات في هذا السبيل ، ولكنك الآن

في سن تسمح لك بالألا تطيعي غير

نفسك ، وألا تهتمي إلا بمصالحك

الشخصية .

: قلت لك كلا ، يا سيد تسييه ، كلا .

: ألا يرضيك أن تتركى أسرتك في

ورطتها ، وأن تنجى منها بنفسك ؟

لو كنت أنا ، مكانك لكان هذا

إحساسى .

: ولكنه ليس إحساسى أنا .

: ما الفائدة في أن تتخبطن في المشاكل

معاً ، بدلا من أن تسعى كل منكن

مارى

تسييه

مارى

تسييه

مارى

تسييه

مارى

تسييه

في التخلص منها بالطريقة التي تيسر  
لها ؟

مارى : الفائدة على وجه التحديد ، هي ألا  
نفصل بعضنا عن بعض [ لنفسها ] مما  
يحسد عليه الإنسان في بعض الأحيان  
أن يجد عزاءه في قربه من ذويه . في  
هذه الحال لا يكاد المرء يهتز أمام  
بعض المفاجآت التي كان من شأنها  
أن تقلب كيانه ، لو لم يكن قريباً  
منهم .

[ فترة ]

تسييه : هاأنذا أتردد على منزل لكن منذ زمن ما .  
وليس من عادتي أن أبتعد عن مقر  
أعمالي دون سبب . ولا ريب أنك لست  
بلهاء ، وأنت ثاقبة النظر ، فلا بد أن  
تكوني قد فطنت إلى أمر ما .

مارى : كل انتباهي موجه إلى ناحية أخرى .

تسييه : أين هذه الناحية ؟

مارى : لست أرى إلا أسرتي . لست أرى

إلا المصير الذي ينتظرها بعد فقدان  
من فقدناه .

تسييه : [متسا] أنت إذن ، كنت تريد  
أن تخدعني ، وأن تنزعني من بعض  
التنازل لمصلحتكم .

ماري : أوه ! يا سيد تسييه ، إن لدى من  
الهموم والآلام ما يكفي دون حاجة  
إلى أن تأتي أنت لتزيدها . أتريد أن  
تعرف ماذا كان يدور بخاطري ؟  
سأقول لك ذلك على الفور ، قدرت  
أنك لم تعد شاباً ، وأنك تعيش وحدك  
حزيناً فريداً ، وأنك لم ترزق أولاداً ،  
فأصبحت تجد بعض المتعة مع أطفال  
غيرك ، هذه هي الأفكار ، كل  
الأفكار التي جالت بخاطري . ولكنك  
على حق فيما ذهبت إليه ، وأعترف  
لك بذلك . فنحن لم نكن نراك قبل  
موت والدنا ، وكان يجب ألا نراك  
بعده . كان يجب أن نقبل الأمور على  
النحو الذي تركها عليه ، وأن نواجه  
مصيرنا بشجاعة وحزم وألا ننفلك  
نقول : لا يمكن للتعاسة أن تعرف  
طريقها إلى نساء تحابن فيما بينهن ،



وتدرعن بالشجاعة ووضعت كل

منهن يدها في يد أخواتها .

[فترة]

: كم عددكن هنا ؟ أنت وأهلك

وأختك ؟

تسييه

: روزالى .

مارى

: من هى روزالى ؟

تسييه

: مخلوقة قديسة قامت بتربيتنا جميعاً .

مارى

: كيف يمكن أن تحتفظن بخدمكن ،

تسييه

في حين أنى لم أستطع الاحتفاظ بواحد

منهم قط ؟ إنكن الآن أربعة أشخاص ،

أما روزالى فلا حساب لها . هذا أمر

مؤسف للغاية ، ومن السهل عليك أن

تفهميه تمام الفهم . فليس في مقدورى

أن أتحمّل أسرة كاملة قد تسبب لى

متاعب كثيرة ، وذلك كله من أجل

رفيقة صغيرة أريد الاستحواذ عليها .

: لم يطلب منك ذلك أحد ، ولم يفكر

مارى

فيه أحد .

: لم أكن أريد أن أصرح بذلك ، ولكنك

تسييه

قد كشفت عنه النقاب . فالحقيقة أن

المرء لا يشكو الوحدة ما دام شاباً ،  
ولكنها في مثل سنى محفوفة بالمكاره  
والأخطار .

: إذا كنت وحيداً ، فذلك لأنك أنت  
الذى أردت ذلك .

: أيتحتم على أن أتزوج ؟

: ليس من الضروري أن يتزوج المرء  
لكي يضمن لنفسه الصلابة . فلا شك  
أن لك أقارب .

: لقد قاطعتهم حتى لا يطلبوا منى

نقوداً ، لأنهم يتضورون من الجوع .  
وأنا أفضل بكثير أن أضرم إلى مخلوقة  
صغيرة بسيطة حلوة الشمائل أهلاً  
للثقة — تقبل الاستقرار في بيتي في  
هدوء ووقار دون أن تنبه . وقد  
أنزولها فيما بعد إذا رأيته أهلاً لذلك .

ولكنكن جميعاً كالحملان قبل الزواج

ولا يدري أحد ماذا تصبحن بعده .

ولذلك سأرتب سلوكي تبعاً لسلوكها .

والحقيقة أنها لن تكون تعسة في

حياتي ، ولن يعترها أى ضير من

مارى

تسييه

مارى

تسييه

جاء بماتي ، وسواء تزوجتها أم لم  
أتزوجها ، فإن ذلك لن يغير شيئاً  
من وضعها .

ماري

: انفض ، يا سيد تسييه ، وانصرف .  
فليس في استطاعتي — منذ الآن أن  
أتحمل وجودك معي دقيقة واحدة .  
نعم ، إنني أعتقد أنك شخص تعس ،  
وأراني أرني لحالك . وأعتقد أن  
اقتراحك اقتراح شريف يمكن قبوله ،  
وأشكرك عليه . ولكنه قد يخفى وراءه  
غرضاً خبيثاً ، غرضاً شنيعاً تبلغ  
شناعته حداً يجعل قلبي يشمئز من  
مجرد افتراضه . انصرف .

تسييه

: [واقفاً ، وتهدو عليه الحيرة ، وتتمتم شفته  
بكلمات غير مسموعة] : والآن ماذا كنت  
تريد أن تقول لي .

ماري

: لا شيء ، لا شيء ، لا شيء مطلقاً .  
أصبحت الآن أشعر بالعار لو كلمتك  
عن أسرتي ، بالعار نحوها ، وبالعار  
نحو نفسي . فكر ، وسائل نفسك  
عن كان والدي ، وعما إذا كنت

لا تدين بشيء لئزاهته وعمله وذكراه  
 [ تذهب عصبية نحو المنضدة « السكرتير » ،  
 وتخرج منها ورق النقد وترده إليه ] خذ  
 نقودك ، خذها دون حرج . إن السيد  
 بوردون قد عرض علينا مساعداته  
 منذ لحظة ، وسنجد لديه ما كان  
 ينبغي لنا ألا نطلبه منك أنت .  
 اذهب ، اذهب وإلا دعوت روزالى  
 لطردك [ فترة ، تدخل روزالى ها هى  
 ذى . ماذا تريدین يا روزالى ؟

روزالى

: مدام دى سان جينى هنا .

مارى

: حسن جداً ، أدخلها .

روزالى

: ماذا بك يا صغيرتى ؟ إن وجهك

أحمر كالدم [ تميل بصرها بين ماري

وتسييه بالتبادل ] آمل ألا تكونى قد

سمعت كلمة نايبة من أحد .

مارى

: أدخلى مدام دى سان جينى .

تسييه

: الآن أتركك يا آنسة . وسأذهب إلى

بوردون ، لأرى ما إذا كانت هناك

وسيلة لتسوية الأمور ، ولكن لا

تعتمدى على ذلك . أنا خادمكم المطيع .



روزالى

: ليس من الحكمة أن تترك هذه الطفلة  
مع رجل في هذه السن .  
[ مدام دى سان جيني تمر في دغولها بتسييه  
وهو بخارج ]

### المناظر التاسع

مارى ، مدام دى سان جيني

مدام دى سان جيني : صباح الخير يا آنسة . لم أعد أحضر  
هنا دون أن أقابل السيد تسييه ، أهذه  
علامة طيبة ؟ هل ستصلون إلى التفاهم  
معه ؟

مارى : كلا ، يا سيدتى .

مدام دى سان جيني : آه ! كنت أظن العكس .

مارى : لماذا ؟

مدام دى سان جيني : لا بد لأى رجل هرم أن يشعر بالمتعة

حين يجد نفسه في بيت مثل بيتكم .

مارى : السيد تسييه دخل بيتنا اليوم لآخر مرة

مدام دى سان جيني : إني أرى لكم إذن ، وأقول لكم

ذلك بمنتهى الإخلاص . هل الآنسة

بلانش هنا ؟

مارى : نعم ، يا سيدتى .

مدام دى سان جينى : أرجوك أن تسمحنى بإرسالها إلى .  
لا تقلقى مدام فينيرون ، فلا ضرورة  
لذلك ، وسأحضر لرويتها مرة أخرى  
أريد الآن أن أتحدث مع الآنسة بلانش .

## المنظر العاشر

مدام دى سان جينى ( وحدها )

مدام دى سان جينى : أفضل بطبيعة الحال أن أتفاهم مع هذه  
الفتاة . وأن أخبرها أن ذلك الزواج  
لم يؤول ، بل فسخ بالفعل . فمن الخير  
لها أن تعرف مصيرها بالضبط ،  
وبذلك سأكون أنا أيضاً مستريحة  
البال ، لأن هذه أول مرة فى حياتى  
أرى فيها جورج يقاوم رغباتى .  
إنه يتمسك بفتاته ، ويريد أن يتزوجها .  
ولكن من حسن الحظ أنه تراءى أمامه  
زواج آخر ، وقد خيرته بين أن  
يطيعنى أو أن أكف عن رؤيته مدى  
حياتى ، ولكن كيف لى أن أطمئن  
إلى وعد شاب فى الثالثة والعشرين من

عمره ! أو إلى هذه الرعناء التي لم  
تستطع الانتظار حتى يتم الزواج وفقاً  
لشريعة الله ! الواقع أن الذنب  
ذنبها .

### المنظر الحادى عشر

مدام دى سان جينى ، بلانش

بلانش : آه ! ما أسعدنى برويتك يا سيدتى .

مدام دى سان جينى : صباح الخير ، يا بنيى ، صباح  
الخير .

بلانش : قبلينى .

مدام دى سان جينى : بكل سرور .

بلانش : إني أحبك من كل قلبى ، يا سيدتى ،  
وأنت تعرفين ذلك .

مدام دى سان جينى : هيا يا عزيزتى بلانش ، اعتصمى

بشئ من الهدوء . لقد جئت اليوم

لأتكلم معك بصورة جدية ، فأنصتى

إلى باعتبارك فتاة كبيرة ، إذ يحسن

بالفتاة التى فى سنك أن تتحلّى بالعقل

والحكمة . [تجلسان] إن ابنى يحبك ،

يا بنيى ، بل أقول لك بكل صراحة

لأنه يحبك كثيراً . لا تقطعي حديثي .  
فأنا أعرف أنك أيضاً تشعرين نحوه  
بشيء ما ، بإحساس عنيف خفيف  
في آن واحد كذلك الإحساس الذي  
تشعر به جميع الفتيات حينما يقع  
بصرهن على شاب جميل .

بلائش

: آه ! إنك يا سيدتي ، تمننين في  
الخط من شأن عاطفة أسمى وأبقى من  
ذلك بكثير .

مدام دي سان جيبي : ليكن ، لقد أخطأت . إن الحب شيء  
جميل ، جميل جداً ، شيء غامض  
جداً ، ساحر سحر الشعر . ولكن  
الهيام ، مهما عظم شأنه ، لا يدوم  
طويلاً ، وليست له نتيجة تذكر .  
وأنا أعرف جيداً معنى ما أقول .  
لأنه عملة لا يستطيع الإنسان أن يدفع  
منها أجر مسكنه ، أو ثمن خبزه .  
وأنت تعرفين جيداً أني لا أملك  
ثروة ما ، وأن ابني ليس له إلا وظيفته ،  
وقد حدثت أحداث مؤسفة أثرت في  
مركز أسرته ، وربما نزلت به إلى



الخصيصة . وفي هذه الحال أراني  
أتساءل ، يا بني ، عما إذا كان من  
المهارة لإتمام هذا الزواج الذي أصبح  
خالياً من كل ضمان .

بلانش : [ بنف ] لا بد أن يتم هذا الزواج  
يا سيدتي ، وسيتم .  
مدام دي سان جيني : [ بلطف ] سيتم ، إذا أردت أنا ،  
ذلك .

بلانش : وستوافقين يا سيدتي .  
مدام دي سان جيني : لا أعتقد .

بلانش : بلى يا سيدتي بلى ، ستوافقين . هناك  
من العواطف الصادقة ما لا يحق لأي  
كائن ، حتى ولا للأُم نفسها ، أن  
يعمل على فصلها . هناك ارتباطات  
جادة لا يستطيع الرجل أن يخل بها  
دون أن يفقد شرفه .

مدام دي سان جيني : عن أي ارتباطات تتكلمين ؟ [ ست ]  
إذا كنت أفهم ما تريدين ، فلني  
أعترف بأنه كان هناك مشروع  
زواج بينك وبين ابني ، ولكنه كان  
معلقاً على بعض الشروط ، وليس

الذنب ذنبى إذا كنتم لا تستطيعون أن  
توفوا بها . وكم كنت أود ، يا بني ،  
أن يرد هذا الخاطر بذهنك . كم  
كنت أود أن تتحمل فى صمت تبعة  
هذا الموقف الجديد الذى لا يد فيه  
للإنسان ، ولكنه بطبيعة الحال قد غير  
آمال كل منكما .

بلانش

: اعلمى ، يا سيدتى ، أن جورج لا  
يكلمنى هكذا ، وأن آماله لا زالت  
هى لم تتغير . إن ضياع مهرى لم يؤثر  
فيه دقيقة واحدة ، بل لم يزد إلا  
تلهاً على زواجى .

مدام دى سان جينى : لنذع جورج جانباً يا فتاتى ، ألا  
تريدى ؟ إنه لا يزال حدثاً ، وأرانى  
فى كل يوم مضطرة إلى تعليمه ما يفعل  
وما يقول .

بلانش

: إن جورج فى الثالثة والعشرين من  
عمره .

مدام دى سان جينى : فى الثالثة والعشرين ، يا لها من سن  
ناضجة !

بلانش

: فى هذه السن يا سيدتى ، تكون

للرجل عواطفه ، وتكون له إرادة  
وحقوق .

مدام دى سان جينى : إنك تريد أن تتكلمى عن ابنى ،  
ليكن ، لتكلم عنه . إنك واثقة من  
نواياه ، ولكنى أختلف معك فى الحكم  
عليها . فهذا الغلام المسكين يرى نفسه  
محصوراً بين عاطفة حبيبة إلى نفسه  
وبين مستقبله الذى يشغل باله ، فلا  
يكف عن التأرجح والتردد .

بلانش : [ وقد نهضت فجأة ] إنك تخدعيني  
يا سيدتى .

مدام دى سان جينى : كلا يا بنيتى كلا ، لست أخدعك  
ولكنى أنسب لابنى أفكاراً جديدة كنت  
أحزن أشد الحزن ، لو لم تدر بخاطره  
وتشغل باله . بل سأذهب إلى أبعد من  
ذلك . هل فى استطاعتنا أن نعرف  
ما يدور فى ذهن الرجال ؟ إن جورج  
ليس أصدق عاطفة من غيره . ولعله  
لا ينتظر إلا أمراً منى لكى يتحلل من  
موقف يضايقه ويحيره .

بلانش : إذن ، أصدرى إليه هذا الأمر .

مدام دی سان جینی : لو أصدرته ، لأطاعه .

بلانش : كلا ، يا سيدتي ،

مدام دی سان جینی : أوكد لك أنه سيطيعه ، ولو على مضض .

بلانش : إذا وصل الأمر إلى هذا الحد

يا سيدتي ، فإن ابنك سيدلي إليك باعتراف كان قد أجله احتراماً لي .

مدام دی سان جینی : أى اعتراف ؟ [صت] هيا ، لى

أرى أنك لا تستطيعين الصبر وقتاً

طويلاً على محاكاة تحفظى . جنى

نفسك التصريح بهذا السر المخرج .

فلما أعرف كل شيء [بلانش تبدو

مضطربة ويصطبغ وجهها بالحمرة ، تجرى

نحو مدام دی سان جینی وترتمى دافئة وجهها

بين ركبتيها . مدام دی سان جینی تستأنف

كلامها وهي ترتب عليها . أنا لا أريد

أن أبحث يا بنيتى ، عما إذا

كان جورج هو الذى أغراك أم

أنت التى أغريته . فالذنب ذنبى . أنا

وذنب أملك ، لأننا أبحنا الانفراد

لطفلين كانا يحتاجان إلى رقابة .



والحقيقة أنه كان في مقدور الظروف  
وحدها أن تغفر لك هذه الزلة ، لو لم  
تكن الطبيعة أولا ، ثم شبابك ثانياً  
كافين لذلك . نعم ، إنه يجب عليك  
أن تعمل على أن تظل هذه الغلطة  
سراً دفيناً ، ومن حسن حظك أن ابني  
رجل مهذب ولن يبوح بشيء . وإذا  
كان الأمر كذلك ، فهل يتحتم أن  
يفقد أحداً كما مستقبل حياته من أجل  
تلك الهفوة ؟ بل أليس من الخير لكما  
أن تتناسياها ؟

بلانش : [ تنهض ] مطلقاً ! [ فترة ]  
مدام دي سان جيبي : إنك لن [ تنهض بدورها وتدير لفتها ]  
تدهشي يا آنسة ، إذا كف ابني  
عن زيارتك .

بلانش : إلى أنتظر قدومه ، لكي أعرف منه  
ذلك .

مدام دي سان جيبي : هل تأملين منه أن يعصى والدته ؟  
بلانش : نعم ، يا سيدتي ، لكي يؤدي واجبه .  
مدام دي سان جيبي : كان يجب عليك أولاً ، ألا تنسى  
واجبك .

بلائش : اجر حى كرامتى ، يا سيدتى ، اذلىنى

إنى أعلم أنى أستحق كل ذلك .

مدام دى سان جينى : إنى أرثى لحالك أكثر مما أميل إلى جرح

شعورك يا آنسة . ولكن يبدو لى

أنه من الأليق بفتاة صغيرة مثلك أن

تخضع وتخفض رأسها بعد السقطة التى

نسقطتها .

بلائش : سترين يا سيدتى ، ما فى مقدور هذه

الفتاة الصغيرة أن تفعله ، لكى تحصل

على حتمها فى إصلاح ما حل بها .

مدام دى سان جينى : وماذا ستفعلين ؟

بلائش : سأرى أولاً ما إذا كان ابنك يتكلم

لغتين ، إحداهما معك والأخرى

معى . ولكنى لا أتهمه حتى الآن .

لأنه يعرف إرادتك ، فيخفى عنك

إرادته . أما إذا تحققت من أنى أمام

جبان يسارع بالهرب وراء أمه ،

فليعلم أنه لن يهجرنى بسهولة . سأصل

إليه فى كل مكان ، فى كل مكان

ياوى إليه ، وسأحطم مركزه وأضيع

عليه مستقبله .

مدام دى سان جينى : إنك بذلك تسيئين إلى نفسك ، لا أكبر  
ولا أقل . ولعل ذلك هو ما ترغبين  
فيه . ولكن من حسن الحظ أن أمك  
لن تسمح لك به ، لأنها سترى أن هذه  
النقطة السوداء في جبين الأسرة تكفى  
وحدها دون حاجة إلى أن تشفع  
بالفضيحة . وداعاً يا آنسة .

بلائش : [ تحتجزها ] لا تذهبي يا سيدتى .  
مدام دى سان جينى : [ بلطف ] لم يعد لدينا ما نقوله .  
بلائش : انتظري إلى أبكى ! إلى أتالم ! مسى  
يدى ، إن الحمى لا تفارقنى .  
مدام دى سان جينى : نعم ، إلى على بينة من حالة الاضطراب  
التي أنت فيها ، ولكنها لن تستمر  
طويلاً . أما لو تزوجت ابنى ، لاستمر  
ندمكا إلى ما لا نهاية .

بلائش : إننا متحابان .  
مدام دى سان جينى : اليوم ، ولكن من يدرى غداً ؟  
بلائش : وافقى يا سيدتى ، أستحلفك أن  
توافقى .

مدام دى سان جينى : أتريدين أن أكرر لك الكلمة التي قلبها  
أنت منذ لحظة ؟ مطلقاً .

[بلانش تتركها ، تروح وتجي ، وتعب  
المسرح وعليها علامات الاضطراب الشديد  
والآلم البالغ أقصى الحدود ، تسقط فوق  
فوتيل . تنوب إلى نفسها بهطء ]  
إني آسف أشد الأسف يا آنسة ،  
أن أبدو لك في هذه الدرجة من  
القسوة ، وأن أتركك وأنت في هذه  
الحال . ولكن الحق في جانبي ، كل  
الحق في جانبي ضدك ، فإن أى امرأة  
في سنى وفي خبرتى ورأت كل ما يمكن  
أن يراه المرء في هذا العالم ، تعرف  
قيمة الأشياء جيداً ، ولا يمكن أن  
تبالغ في تقدير بعضها على حساب  
البعض الآخر .

بلانش

: [وقد جثت على ركبتيها] أنصتى إلى  
يا سيدتى . ماذا يكون مصيرى إذا لم  
يتزوجنى ابنك ؟ إنه واجبه ولست أعرف  
واجباً أنبل ولا أسمى من ذلك الذى  
يستطيع الرجل أن يؤديه نحو امرأة  
أحبته . أظنننى أنى كنت أذل نفسى  
إلى حد تذكره بوعده ، لو أنه كان  
وعداً عادياً ؟ نعم ، إني أفضل تحطيم قلبى



نفسه على أن أقدمه لشخص يحتقره  
وليس أهلاً له . ولكن يجب على  
ابنك أن يتزوجني ، فهذا هو واجبه ،  
ولن أكف عن تكرار ذلك . وكل  
الاعتبارات تمنحى أمام هذا الاعتبار .  
إنك تكلميني عن المستقبل ، ليكن  
هذا المستقبل ما يكون ، فلاني ، أنا ،  
لا أفكر إلا في الماضي الذي سيقضى  
على بالموت عاراً وكمدأ .

مدام دي سان جيئى : إن هذا كلام أطفال . هل يصح للفتاة  
أن تتكلم عن الموت وهى فى سنك  
أيتها الطفلة ؟ هيا ، انهضى وأنصتى لى  
بدورك . لى أرى أنك تحبين ولدى  
أكثر مما ظننت لأول وهلة ، حتى  
أنك تصرين لى هذا الحد ، على  
الاقتران بغلام فقير مثله يعتبر مركزه  
فى حكم البائس . ولكن لو أنى وافقت  
الآن على زواجكما ، لآثيت لى بعد  
عام ، بل ربما بعد عشرة أشهر ،  
لكى توجهى لى أمر اللوم على خور  
عزيمتى . ذلك لأن الحب عابر ،

وبيت الزوجية باق . أتدريين ماذا  
سيكون بيتكما ؟ سيكون مزرياً ،  
منزباً ، مشحوناً بأشق الأعمال ، يعج  
بأطفال يحب عليك ، أنت ، أن  
تطعمهم ، وزوج متذمر لا ينسى  
دقيقة واحدة أن يوجه إليك أقسى  
اللوم على تلك التضحية التي تطلبت  
منه القيام بها . فافعل ما أطلبه منك .  
قومي أنت بهذه التضحية بنفسك ،  
فسرعان ما تتغير الأشياء . لم يعد  
جورج هو الذي يهجرك . وإنما أنت  
التي تفكرين في إطلاق سراحه . وبذلك  
يصبح أسير فضلك ، ويفسح لك في  
قلبه مكاناً خفياً تربعين فيه إلى الأبد .  
إن الرجال يدينون دائماً بالعرفان  
لذكرى امرأة أحبهم ، ولو ساعة  
واحدة ، حباً منزهاً عن الغرض ،  
لأن هذا أمر نادر الحدوث . وفي هذه  
الحال ماذا سينتهى إليه أمرك ؟  
سأشرح لك ذلك . إن صورة ابني  
التي تملك عليك كل مشاعرك في هذه

اللحظة ستتمحى شيئاً فشيئاً بأسرع  
 مما تظنين . وأنت شابة جميلة تتمتعين  
 بكل وسائل الجاذبية والإغراء .  
 وسيتقدم لطلب يدك عشرة أو عشرون  
 وإن تختارى أكثرهم بريقاً ، بل أشدهم  
 صلابة ، وحينئذ ستفكرين فى وتقولين  
 لقد كانت مدام دى سان جينى  
 على حق .

بلانش

من أنت إذن ، يا سيدتى حتى  
 تعطينى مثل هذه النصائح ؟ ماذا يقول  
 ابنك لو علم بها ؟ إنى أفضل أن أكون  
 عشيقته له على أن أصبح زوجة لغيره .  
 مدام دى سان جينى : عشيقته ! يا لها من كلمة جميلة فى  
 فك ! إن ابنى يا آنسة ، سيعرف  
 هذه العبارات التى تلقين بها عفو  
 الخاطر والتى تعتبر دليلاً جديداً على  
 أن أنوثتك سابقة لأوانها .

بلانش

كلا ، كلا يا سيدتى ، لا تذكرى  
 أمامه هذه الكلمة الشنيعة التى يحمر  
 وجهى خجلاً من أنى تلفظت بها .  
 مدام دى سان جينى : عشيقته ! سأبوح لك بكل شئ

ما دمت أهلاً لسماع أى شئ . اعلمى  
أنى لم أكن قط لأفسخ زواجك من  
أجل مصلحة مادية . ولكنى أريد ألا  
تكون زوجة ابنى امرأة تثير فى نفسه  
الريب حول ماضيها والقلق حول  
مستقبلها .

[تتجه نحو الباب]

بلانش [تستوقفها] : أوه ! أوه ! أوه ! إنك تسببى ،  
يا سيدتى ، دون حق ودون رحمة .  
مدام دى سان جينى : دعبنى أنصرف يا آنسة . عشيقته !  
ما هذه اللغة التى لا تليق إلا ببنت  
ساقطة !

[تدفع بلانش برفق وتخرج]

### المنظر الثانى عشر

بلانش (وحدها) ، ثم روزالى ، ثم مارى  
ثم مدام فنيرون ثم جوديت

بلانش : بنت ساقطة ! لقد جرئت على أن  
تسمينى . . . يا للعار ! [تنفجر بالبكاء]  
أوه ! لقد انتهى الآن كل شئ . . .  
إن جورج شخص ضعيف الإرادة



تسيطر عليه أمه ، وسيطعها ...  
 بنت ساقطة ! [ تبكى بفزارة ] كيف  
 يتأق لشاب بهذا الجمال ، شاب  
 لا يكاد يشبه هذه المرأة أن يخضع لها  
 كل هذا الخضوع ! ... لقد خارت  
 قواى . كانت يدأى منذ لحظة متقاطعتين  
 كالنار ، فأصبحنا الآن باردتين  
 كالثلج [ تذق الجرس ، وترجع نحو مقدمة  
 المسرح : بصوت متهدج ] إنه شاب صغير  
 لم يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره ...  
 عذب رقيق جذاب ، ستحبه أخرى  
 غيرة وتزوجه بدلا منى .

روزالى [ داخله ] : أنت التى تطلبينى ، يا بنيتى ؟  
 بلانش : [ متجهة نحوها بعناء ] أشعر ببرودة  
 يا عزيزتى ، ضعى شيئا ما على كتفى .  
 روزالى : [ بعد أن نظرت إليها ] سأحملك إلى  
 سريرك ، هذا خير ما يفعل .  
 بلانش : [ متقهرة ] كلا .  
 روزالى : افعل ما أقوله لك ، إذا أردت ألا  
 ينقض عليك المرض .  
 بلانش : أوه ! بكل تأكيد ، سينقض على المرض .

روزالى : هيا ، تعالى معى ، إن روزالى هى التى  
ستلبسك ملابس النوم ، ولن تكون  
هذه أول مرة .

بلانش : نادى والدتى .

روزالى : لست فى حاجة إلى والدتك ، إنى هنا .

بلانش : لن أتزوج ، يا روزالى .

روزالى : يا لها من كارثة محبة إلى النفوس !

ألسنا ندلك ، إذن ، بما فيه الكفاية

حتى تفضلى علينا هذا التافه وتلك

الذئبة ؟ هذان هما اسماهما الحقيقيان .

اعلمى أن هذا الزواج لم يكن هو

الزواج الذى يليق بك ، ولو أن

نصائح والدك ونصائحي قد لاقت

أذناً صاغية ، لما أمكن التفكير فيه

أكثر من دقيقة واحدة .

بلانش : [ رأسها يتأيل ] والذى ! إنى أرى

والذى ! ها هو ذا يمد إلى ذراعيه

ويشير إلى أن ألحق به .

روزالى : هيا إلى الفراش ، يا عزيزتى بلانش

الصغيرة .

بلانش : إن عزيزتك بلانش الصغيرة ليست

إلا بنتاً ساقطة ! إلى بنت ساقطة ،

وأنت لا تعرفين ذلك ؟

روزلى : كفى عن الكلام يا بنتى ، إن ذلك

يوذيك . تعالى ... تعالى ... مع

عزيزتك العجوز .

بلانش : آه ! ما أشد ما أشعر به من ألم !

[ صائحة ] ماري ! ماري ! ماري !

[ ترمي بين ذراعى روزلى وتزلق شيئاً فشيئاً

حتى تسقط على الأرض ]

مارى : [ تدخل ، وتدفع ] بلانش ! بلانش !

روزلى : اسكتى يا صغيرتى ، لا فائدة من

النداء ، إنها لا تسمعك . لنحملها بكل

رفق ، ولنذهب بها إلى فراشها ،

هذه العزيزة المنكوبة .

بلانش : [ متممة ] بنت ساقطة !

مدام فنيرون : [ تظهر ] ماذا هنا ؟

[ تندفع بدورها ]

روزلى : دعينا ، يا سيدتى ، فإنك تربكيننا

أكثر مما تساعدنا .

[ جوديت تظهر ]

مدام فنيرون : تعالى هنا ، يا جوديت . [ تسيران

نحو مقدمة المسرح [ إنك على حق ،  
يا بنيتي . كل هذه الأشياء لا تساوي  
شيئاً . ها هي ذا أختك تحمل إلى  
فراشها ، وغداً سيكون دورك ،  
وبعد غد سيكون دوري . ألا زلت  
ترين أن خير ما نصنع هو أن ننتهي  
من كل شيء ؟

جوديت : نعم ، لا زلت .

مدام فنيرون : حسن جداً . خلدي معك روزالي ،  
واذهبا معاً إلى السيد بوردون . وأخبريه  
أنني أقبل كل شيء ، وأوافق في كل  
شيء ، ولاني الآن في أشد اللهفة على  
أن أرى كل شيء قد انتهى .  
وأضيفي إلى ذلك : إن لدى نفس  
اللهفة التي لديه . أهذا هو رأيك ؟

جوديت : هذا هو رأيي .

مدام فنيرون : اذهبي ، يا بنتي الكبرى [ تفرقان ]  
نعم ، إنني أريد الاحتفاظ بما لدى ،  
ولكنني أريد ، أولاً وقبل كل شيء ،  
أن أحتفظ بأولادي .



## الفصل الرابع

المسرح يمثل قاعة مائدة . وهي حجرة وضيعة حزينة حقيرة الأثاث . ويرى هنا وهناك بعض المقاعد التي ظهرت في الفصول السابقة ومن بينها الأريكة ، وهي تتنافر بصورة صارخة مع باقي الأثاث . وهناك بابان بمصراع واحد ، أحدهما في القاع والثاني إلى اليسار . ويرى في القاع من جهة اليسار منضدة من خشب الأكاجو مسندة إلى الحائط ومغطاة بقرص من الجلد أحمر اللون ، وعلى المائدة رغيف من الخبز . وعدة فناجين وبعض الأدوات المنزلية .

### المنظر الأول

روزالي ، مركنس

: ادخل يا سيد مركنس ، ادخل .  
إن كل من هنا يسرهن أن يرين وجهاً  
معروفاً هن .

روزالي

مركنس : [بعد أن أجال النظر فيما حوله ] أوه !

أوه ! إن رجل القانون لم يخدعنى .  
كل ما هنا يفوح بالبؤس .

روزالى : أنتظر إلى مقرنا الجديد ؟ إنه لا يدل

على الثراء . آه ! ماذا تريد ؟ أمس  
واليوم لا يتشابهان .

مركنس : ماذا حل بهذه الأسرة ؟

روزالى : لقد حل بهم الخراب يا سيدى

العزیز ، بالسيدة المسكينة وبناتها !  
لن أشرح لك كيف حدث ذلك ،  
ولكن لن يستطيع أحد أن يقتلع من  
رأسى تلك الفكرة التى استقرت فيه .  
وهى أن رجال الأعمال إذا تسللوا  
وراء ميت ، أمكننا أن نقول بكل  
يسر : هذه هى الغربان ، لأنها لن  
تترك إلا ما لا تستطيع حمله .

مركنس : لم يعد هذا المنزل مغرباً ، أليس

كذلك يا روزالى ؟

روزالى : بالنسبة لكل شخص يا سيد مركنس ،

بالنسبة لكل شخص .

مركنس : لماذا لا تبحثين لك عن مكان آخر ؟

روزالى

: أنظن أن هؤلاء الآنسات يستطيع  
الاستغناء عني ، أو أني أستطيع  
الاستغناء عنهن ؟ نعم ، إني هنا فم زائد  
عن الحاجة ، ولكي أعمل بأكثر مما  
أكله . لا أظنك يا عزيزي السيد  
مركنس ، تفكر في أن تتناول هنا  
إفطارك . ففيما مضى كنت إذا رأيتك  
مقبلا في مثل هذه الساعة ، عرفت  
على الفور ماذا يعنى ذلك ، وسارعت  
بوضع طبقك فوق المائدة ، أما الآن  
فقد تغير الحال . سأذهب لإخبار  
سيدتي بقدمك .

مركنس

: كلا ، لا تزعجى مدام فنيرون ،  
يكفى أن تخبرى الآنسة جوديت  
بأنى هنا .

[جوديت تدخل]

: ها هي ذى الآنسة جوديت .

روزالى

: صباح الخير ، يا سيد مركنس .

جوديت

[مركنس يهيج]

: ومع ذلك ، إذا رغبت في فنجان من  
القهوة المزوجة باللبن ، فإنه لا يزال

روزالى

في مقدورنا أن نقدمه لك .

: دعينا وخذنا ، يا روزالي .

جوديت

## المنظر الثاني

مركنس ، جوديت

: سأبدأ بالعتاب عليك لكيلا نذكر هذا

الأمر بعد ذلك . لقد كتبت إليك

مرتين أرجوك فيهما أن تأتي لرؤيتي ،

وكان الواجب أن تكفي مرة واحدة .

: [ بنير تحمس ] أنت واثقة من أنك

كتبت إلى مرتين ؟

: وأنت تعرف ذلك جيداً .

: كلا ، أوكد لك أن خطابك الأول

لم يصلني .

: دعنا من هذه المسألة . أظنني لست في

حاجة إلى أن أخبرك بالحال التي

انحدروا إليها ، فلا شك أنك أدركت

ذلك بمجرد دخولك .

: [ بعد أن قام بإشارة تجمع بين الجد والهزل ]

أشرحني لي . . . .

جوديت

مركنس

جوديت

مركنس

جوديت

مركنس



جوديت

: إنها قصة لا يمتلك سماعها ، ولا يلد  
لى سردها . بالاختصار كانت تنقصنا  
النقود التى ندافع بها عن ثروتنا ،  
فقد كان يجب أن يكون فى يدنا حوالى  
مائة ألف فرنك .

مركنس

: لماذا لم تكلمينى فى ذلك ؟ كان فى  
مقدورى أن أجد لكم هذا المبلغ .

جوديت

: لقد فات الأوان . تفضل بالجلوس .  
إنك تتذكر ياسيد مركنس ، كيف  
كانت حياتنا العائلية ، بل لقد كنت  
أحد شهودها . كنا سعداء وكنا  
متحابين فيما بيننا ، ولم يكن لنا  
معارف ، ولم نرد أن يكون لنا  
معارف . لم نفكر فى أننا سنحتاج يوماً  
إلى جميع الناس . وأنا لا نعرف  
منهم أحداً : [ مركنس أخرج ساعته ] أنت  
مستعجل ؟

مركنس

: فى غاية الاستعجال . فيحسن أن  
نتخلى عن الكلام الطنان ، أليس  
كذلك ؟ لقد أردت رؤيتى ، وهأنذا  
فإذا كنت تودين أن تطلبى منى شيئاً

ما ، فما هو هذا الشيء ؟ وربما كان  
من الأفضل أن أخبرك منذ البداية بأنى  
لست من الأشخاص الذين يتفانون  
فى خدمة الغير .

: هل لى أن أواصل كلامى ؟

جوديت

: نعم ، بكل تأكيد ، واصلى .

مركنس

: هذه هى المسألة أغرضها عليك من

جوديت

فورى بكل بساطة : إنى أريد أن

أستفيد من الدروس الممتازة التى

تلقيتها عليك ، وأن أقوم بدورى بإعطاء

بعض الدروس ؟

: [ يلس ركبها ] كيف ذلك ، أيتها الطفلة

مركنس

البائسة ؟ أوصلت بك الحال إلى هذا

الحد ؟

: مهلا ، مهلا ، يا سيد مركنس ،

جوديت

ادعى بالآنسة كما كانت عادتلك دائماً

أن تفعل ، واحرص على أن تحببى

بوقار .

: بعض الدروس ؟ أأنت جديدة أولاً

مركنس

بإعطاء دروس ؟ هذا ما لست متأكداً

منه . ولكن لنسلم بأنك أهل لذلك .

فهل أنت على استعداد لعمل ما يجب  
 أن يعمل لكي تعثرى على من يتلقون  
 عنك هذه الدروس ؟ إن الدروس  
 تطلب كما يطلب الإحسان ، ولا  
 يتأتى للمرء أن يعثر عليها ، وهو  
 محتفظ بكرامته ، متمسك بمظاهر  
 العزة والوقار . ومع ذلك ليس من  
 المستحيل أن يشفق عليك بعض الناس  
 فيصبح لديك بعض التلاميذ ، ولكن  
 ذلك لا يمكن أن يكون قبل أربع أو  
 خمس سنين . وفي هذه الحال سيكون  
 لديك تلاميذ سمجاء في غالب الأحيان  
 وآباء هؤلاء التلاميذ الذين سيكونون  
 أفظاظاً في كل الأحيان تقريباً . إذ من  
 هو مدرس الموسيقى ، ذلك الإنسان  
 الصغير البائس ، في نظر أولئك  
 المنافقين الذين لا يعرفون حتى مفتاح  
 السول ! وما لنا نذهب بعيداً ، فقد  
 كان أبوك . . .

جوديث

مركنس

: لا شأن لك بأبي .  
 : يمكننا أن نضحك منه قليلاً . . . إنه  
 لم يترك لكن شيئاً .

جوديت

: لندع الآن مسألة الدروس جانباً ،  
وسنرجع إليها بعد قليل ، وأرجو  
يا سيد مركنس ألا ترى فيما سأعرضه  
عليك أى غرور أو ادعاء ، بل مجرد  
الرغبة فى استغلال موهبتى الموسيقية  
الضئيلة . فأنت تعلم أنى ألفت كثيراً  
من القطع . هل يمكننى بهذه القطع  
التي كتبها وبيع بعض القطع الأخرى التي  
سأكتبها فى المستقبل أن أحقق شيئاً من  
الرغد لأفراد أسرتى ؟

مركنس

: [بعد أن ضحك] اصغى إلى [يضحك من  
جديد] إياك ، إياك أن تعيدى ما سمعته  
منك الآن ، وإلا أصبحت أضحوة  
المصاحكين فى قارات العالم الخمس  
[يعود إلى الضحك] شيئاً من الرغد ؟  
أهذا كل ما عندك ؟

جوديت

: كلا ، ليس هذا كل ما عندى .  
لعلك تذكر أننا كنا قد تكلمنا فيما  
مضى عن وظيفة لم أستسغها مطلقاً فى  
ذلك الحين ، وقد لا أستسغها كثيراً  
فى يومنا هذا ، ولكنى أعتقد أنى لن



أُتخرج الآن عن القيام بأى عمل من أجل إخراج أسرتى من ذلك الوضع البائس الذى هى فيه . فما رأيك فى المسرح ؟

: لقد فات الأوان .

مركنس

: لماذا لا أعمل فى المسرح مثل كثيرات غيرى ممن ترددن فى بادئ الأمر ثم لم يلبثن أن استجمعن شجاعتهم ؟

: لقد فات الأوان !

مركنس

: ربما كنت أتمتع بميزات طبيعية لا ينقصها إلا المران والعادة .

جوديت

: لقد فات الأوان ! لا يستطيع المرء أن يفكر فى المسرح دون أن يكون قد أعد له نفسه منذ زمن طويل . وأنت لن تكونى فنانة أبداً . فليس لديك ما ينبغى لذلك . ولهذا لن تجدى الآن فى المسرح إلا خيبه الأمل . . . أو بعض المغامرات . أذلك ما تبحثين عنه ؟

مركنس

: ماذا إذن ، يمكننى أن أفعل ؟

جوديت

: لا شىء . إنى أدرك موقفك تمام

مركنس

الإدراك . فلبست أنت أول فتاة  
وجدت نفسها في هذا الموقف ،  
وأجبتها نفس هذه الإجابة . ليس  
للمرأة أى ملجأ ، أو بالأحرى ليس  
لها إلا ملجأ واحد . فأنصتى إلى  
جيداً ، وسأقول لك الحقيقة في جملة  
واحدة : إذا كنت شريفة ، احترمتك  
الناس ولم يخدموك ، وإذا لم تكوني  
شريفة خدمتك الناس ولم يحترموك ،  
وليس لك أن تطمعى في شيء آخر .  
هل تريد أن تعودى إلى الكلام في  
الدروس ؟

- |                                                            |       |
|------------------------------------------------------------|-------|
| : كلا . وأقدم لك أسفى على إزعاجك .                         | جوديت |
| : أنظر دينى ؟                                              | مركنس |
| : إنك مستعجل ، ولا أريد أن أحتجزك<br>أكثر من ذلك .         | جوديت |
| : وداعاً ، يا آنسى .                                       | مركنس |
| : وداعاً ، يا سيدى .                                       | جوديت |
| : [ وهو بالباب ] لم تكن تستحق أن يقال<br>لها أحسن من هذا . | مركنس |

## المنظر الثالث

جوديت ، ماري

- ماري : نعم !
- جوديت : لا شيء . إذا كان السيد مركنس على حق ، وإذا كانت الأمور تجري على نحو ما يقول ، فلا شك أننا لم نصل بعد إلى نهاية متاعبنا . وعلى كل حال ، ها هي ذي مشروعاتي وقد انتهت كلها ، ما تعرفين منها وما لا تعرفين .
- ماري : ما هذه المشروعات التي لا أعرفها ؟
- جوديت : لا فائدة للكلام في ذلك الآن .
- ماري : يجب أن تتكلمي .
- جوديت : كنت قد فكرت لحظة من اللحظات في أن أستغل صوقي في الغناء على أحد المسارح .
- ماري : أنت يا أختي ، تفكرين في الظهور على أحد المسارح !
- جوديت : نعم ، وإلا فإذا تتوقعين ؟ يجب علينا أن نهئ أنفسنا للقيام بأى عمل .

فليس في وسعنا أن ننتظر حتى نستنزف  
آخر مليم معنا . ولا يليق بأمننا أن تعمل  
وهي في هذه السن المتقدمة ، ولو  
أرادت هي أن تعمل لمنعناها نحن .  
أما عزيزتنا المسكينة بلانش ، فلا  
ندري إذا كان عقلها سيعود إليها .  
فلم يبق إلا أنت وأنا . ولكنك  
يا طفلي العزيزة لا تجيدين أى عمل ،  
إذ يتحتم عليك أن تعملي اثنتي عشرة  
ساعة في اليوم من أجل فرنك ونصف  
فرنك .

مارى : أرجو أن تخبريني بكل صراحة عن  
رأيك في حالة بلانش . كيف  
تجدينها ؟

جوديت : إنها يوماً في حالة طيبة ويوماً آخر في  
حالة سيئة . يعتقد الإنسان في كل  
لحظة أنها ستعرفه ، ولكنها لا ترى  
أحداً ، ولم تعد تسمع شيئاً . والحقيقة  
أنى كثيراً ما فكرت في هذه المصيبة ،  
وقلت في نفسي لعلها قد جنبتنا مصيبة  
أعظم منها . فلو أن بلانش ، بطبيعتها



التي تعرفينها ، قد علمت ، عن طريق المصادفة ، بزواج السيد دي سان جيني ، وربما قضى هذا الخبر على حياتها في الحال . ولكنها على قيد الحياة ، وهذا هو المهم . لأننا لم نفقدها . وإذا وجب أن نعالجها فسنعالجها ، وإذا وجب أن نحرّم أنفسنا من الخبر من أجلها ، فسنحرّم منه أنفسنا ، لأنها لم تعد أختنا ، لأنها طفلتنا .

ماري : أنت طيبة القلب ، يا أختي الكبيرة ، وأنا أحبك .

[ تتبادلان القبل ]

جوديت : وأنا أيضاً أحبك . نعم ، قد تجدني خشنة الطبع في بعض الأحيان ، ولكني أحملكن جميعاً في صميم قلبي . ويبدو لي أنه يجب على أنا ، أختك الكبرى ، أو الأخت الكبيرة ، كما تدعوني ، أن آخذ بيد الجميع وأن أنتزع الأسرة من وهدتها . وكيف يتيسر لي ذلك ؟ لا أدري . ولكني سأبحث عن

الوسيلة ، وسأجدها . وإذا كان من  
الضرورى أن ألقى بنفسى فى النار ،  
فسأفعل دون أى تردد .

مارى : هل كلمتك أوى عن زيارة السيد  
بوردون ؟

جوديت : كلا . ماذا يريد منا ؟

مارى : لقد كلفه السيد تسييه بأن يطلب له  
يدى .

جوديت : هذا خبر لا يدهشنى . فقد كان من  
اليسير على كل ذى عينين أن يرى  
أن السيد تسييه قد شغف بك ، وأنه  
لا بد أن يعرض عليك الزواج يوما  
من الأيام .

مارى : هل نوصينى بأن أقبل ؟

جوديت : لا تطلبى منى رأى فى هذه المسألة .

إنها تخصك أنت ، فعليك أنت أن  
تقررى ما ترين . انظرى وتروى  
وقدرى ، ولكن إياك أن تفكرى فى  
غير نفسك . فإذا كان حالنا يفزعك  
وكننت نادمة على الزمن الذى لم يكن  
ينقصك فيه شىء من الأشياء ،

فتزوجى السيد تسييه ، إنه سيكلفك  
أعلى الأثمان فى سبيل القليل من الرخاء  
والأمان اللذين سيوفرهما لك . ولكنى  
أعرفك جيداً ، وأعرف أنك تحبين  
أمك وأختيك حباً مقطوع النظر ،  
وإنك جديرة بأن تخضعى نفسك من  
أجلهن إلى ما تكرهين لها ، ولذلك  
أرى أننا نرتكب أفدح الذنوب ،  
أتصغين إلى ما أقول ؟ إننا نرتكب  
أفدح الذنوب ، إذا نصحناك بتقديم  
هذه التضحية التى هى أعظم ما يمكن  
لامرأة فى العالم أن تقدمها .

مارى

: إن كل ما تقولينه يفيض بالطهر  
والحنان ، قبلينى مرة أخرى .

[ روزالى تدخل من باب القاع ، وتمسك  
بإحدى يديها إناء قهوة وبالأخرى كسرولة  
ملأى باللبن ، تضعهما على المنضدة ، تقرب  
وتنظر إلى الأختين فى حيرة . مارى وجودت  
تدترقان ]

## المنظر الرابع

الأشخاص أنفسهم ، ثم روزالى ،  
ثم مدام فنيرون ثم بلانش

جوديت : هل جهزت طعام الإفطار .  
روزالى : نعم ، يا آنسى ، سأقدمه لكن حينما  
ترين .  
مارى : ستساعدك جوديت فى ترتيب المائدة ،  
يا عزيزتى روزالى .

## منظر صامت

[ جوديت وروزالى تحضران المنضدة إلى الجزء  
الأمامى من المسرح ، إلى اليسار ، روزالى  
ترتب الفناجين وتصب القهوة المزوجة باللبن  
فى حين أن جوديت تقرب الكراسى ، ذهبت  
مارى إلى الباب الأيسر وفتحته ، تدخل بلانش  
ومن ورائها أمها ، بلانش خائفة القوى زائفة  
البصر ، وهيتها هيئة مجنونة فى حالة هدوء .  
ظهر الحرم على مدام فنيرون وابيض شعرها ،  
مارى تجلس بلانش ، ثم يجلسن جميعاً بدورهن  
ما عدا روزالى التى تتناول قهوتها واقفة -  
صمت طويل - حزن شامل ] .



مدام فنيرون : [ منفجرة ] آه ! لو كان أبوكن حياً  
لبراكن على هذه الحال ، يا أولادى  
[ دموع ونشيج ]

## المنظر الخامس

الأشخاص أنفسهم ، ثم بوردون

روزالى : [ لبوردون الذى دخل خلصة ] كيف  
دخلت ؟

بوردون : من الباب الذى كان مفتوحاً . من

الخطأ يا بنتى أن تتركى باب الدخول  
مفتوحاً ، فمن الجائز فى هذه الحال  
أن يسطو اللصوص على متاع سيداتك

روزالى : [ باستخفاف ] لم يعد هناك خطر من هذه  
الناحية . فقد سطا علينا اللصوص  
بالفعل ، ولم يتركوا شيئاً .

بوردون : [ وهو يتقدم نحو أمام المسرح ، لمدام  
فنيرون التى نهضت واقفة ]

لا تكلفى نفسك مشقة الوقوف  
يا سيدتى ، سألتظر حتى ينتهى الطعام .

مدام فنيرون : [ ذاهبة نحوه ] ماذا وراءك ، يا سيد  
بوردون ؟

بوردون : [ بصوت خافت ] جئت أيضاً ، يا سيدنى  
من قبل تسبييه ، من أجل هذا المشروع  
الذى يشغل باله آثناء الليل وأطراف  
النهار . أظن أنك قد أحطت ابنتك علماً  
بالطلب الذى أفضيت به إليك ،  
أليس كذلك ؟

مدام فنيرون : نعم .  
بوردون : أرجو لو تسمحين لى بأن أجدد لها  
هذا الطلب فى حضورك .

مدام فنيرون : ليكن ! أوافق على ذلك ، جوديت  
خذى أختك ، يا بنيتى . يا ماري ،  
السيد بوردون يريد أن يتحدث معنا .

## المنظر السادس

مدام فنيرون ، ماري ، بوردون

بوردون : قولى لى ، يا آنستى ، هل أفضت  
إليك أملك بالرغبة التى أبدأها السيد  
تسبييه ؟

مارى : نعم ، يا سيدى .  
 بوردون : أأنت التى رفضت هذا الزواج من  
 ذات نفسك ودون تأثر بأى شخص  
 آخر ؟

مارى : نعم ، من ذات نفسى .  
 بوردون : حسن جداً ! . . . حسن جداً ! . . .

إنى أفضل هذا ، الواقع أنى خشيت ،  
 حين رأيتك ترفضين هذا الاقتراح  
 الملىء بالفوائد ، أن تكون أمك  
 وأختك قد تأمرن لكى يحتفظن بك  
 معهن ، ولا أقول لهن قد يفعلن  
 ذلك بدافع الحسد ، ولكن بنوع من  
 الإفراط فى الحب الذى يضر عن غير  
 قصد . فإذا كنت ، يا آنسى ، قد  
 اتخذت قراراً نهائياً أو كان رفضك  
 مبنياً على ذلك النوع من العناد الذى  
 لا يقبل النقض ، فلنى أرى ألا فائدة  
 من التماذى معك .

[ صمت ]

ميدام فنيرون : لا تضطربى ، يا بنيتى ، قولى له  
 رأيك بكل صراحة .  
 [ صمت جديد ] .

بوردون

: في هذه الحالة حيث يمكن أن تندم  
يا آنستي ، على قرار متعجل قد تكون  
له بعض المبررات . فأرى من الخير  
أن أتيح لك فرصة أخرى للتروى ،  
فاستفيدي منها .

مارى

: قل للسيد تسييه ، من قبلى ، إن هذا  
الإصرار من جانبه يزيد من قدره في  
نظري ، ولكنني أطلب منه بعض  
الوقت للتروى .

بوردون

: ألا ترين ، يا سيدتي ! إن هذا جواب  
في غاية التعقل والحكمة . ولا يشبه  
بأية حال ذلك الرفض القاطع الذي  
سبق أن ألقيت به في وجهي .

مدام فنيرون

: من الممكن أن تكون ابنتي قد غيرت  
رأيها ، ولكنها يجب أن تعلم أنني لا  
أوافقها على ذلك .

بوردون

: لا تقولي شيئاً ، يا سيدتي . دعى هذه  
الفتاة تقرر ما يمليه عليها ضميرها ،  
ولأفقد تعبت عليك يوماً من  
الأيام أنها قررت ما أملاه عليها  
ضميرك أنت . [ يرجع إلى ماري ] إلى



أفهم جيداً ، يا آنسى ، ألا تكونى  
متهلقة على عقد هذا الزواج ، مهما  
كانت الفائدة التى تستجنيها من ورائه  
ولكن من سوء الحظ أن تسييه ليس  
مثلك فى سن العشرين ، ولعل هذا  
أشد ما تأخذينه عليه ، ولكن المرء  
فى سنه لا يؤجل شيئاً للغد عن طيب  
خاطر .

مارى : أريد أن أعرف ، وأرجوك يا سيد  
بوردون أن تخبرنى بما إذا كان السيد  
تسييه رجلاً شريفاً .

بوردون : رجل شريف ! ماذا تريدن بذلك ؟  
بطبيعة الحال أنا لا أنصحك يا آنسى  
فى حالة ما إذا تزوجت السيد  
تسييه ، أن تضعى كل آمالك فى مجرد  
وعد يقدمه لك ، ولكن موثقى  
العقود لم يوجدوا إلا ليحرروا عقوداً  
تضمن حقوق جميع الأطراف .  
أترينى قد أجبت على سؤالك ؟

مارى : كلا ، إنك لم تفهم سؤالى . الرجل  
الشريف ، بالنسبة للفتاة ، معنى

بوردون : يتضمن أشياء كثيرة .  
أتظنين منى ، يا آنسة ، ما إذا كان  
السيد بوردون قد كون ثروته بطرق  
شريفة ؟

مارى : نعم ، أريد أن أتأكد من هذه النقطة ،  
ومن نقط أخرى .

بوردون : ما هذا الذى تشغلين به نفسك ؟ لو  
أنك بحثت اليوم فى كل فرنسا عن  
مصدر جميع الثروات ، لما وجدت  
مائة ، بل خمسين من بينها تستطيع  
الصمود للامتحان النزيه . وإنى أكلمك  
فى ذلك عن علم باعتبارى رجلا يمسك  
بكل الخيوط فى مكتبه . كل ما يهم  
المرء أن يعرفه هو أن تسييه قد اشتغل  
بالأعمال طول حياته ، وأنه ربح منها  
ثروة ضخمة هى ملكه ، ولا يمكن  
للإنسان ، أيا كان ، أن يحلم بمنازعته  
فيها ، واعتقد أنك لست فى حاجة إلى  
أن تعرفى أكثر من ذلك .

مارى : ماذا تعرف عن السلوك المعتاد للسيد  
تسييه ؟ ما هى ميوله وعاداته ؟

بوردون

: لا معنى للميول والعادات بالنسبة لرجل  
في هذه السن . على كل حال لا أعتقد  
أنك ستجدين ما تحشين منه في هذه  
الناحية . فقد فهمت الآن مرمى  
سؤالك . ويمكن أن تصدقيني بكل  
اطمئنان ؛ أن تسييه سيكون زوجاً  
شريفاً أكثر من اللازم ، وفي وسعك  
أن تسأل أمك نفسها عن ذلك .

مدام فنيرون

: إني أتساءل الآن يا سيد بوردون ،  
عن المصلحة التي يمكن أن تجنيها من  
وراء هذا الزواج ؟

بوردون

: المصلحة ، يا سيدتي ، إنها مصلحة  
هذه الطفلة التي هي طفلتك في نفس  
الوقت .

مدام فنيرون

: لقد فات الأوان الذي كان يجوز لك  
فيه أن تبرهن لنا على كل هذا التفاني .

بوردون

: إنك لا زلت تفكرين يا سيدتي ،  
في تلك المسائل اللعينة التي أعترف لك  
بأنها انتهت على أسوأ وجه . ولكن ،  
هل ذنبي أنا أنك كنت في حالة عجز  
تام عن الدفاع عن تركة زوجك ؟

لقد خضعت لقانون [ الحق للقوة ]  
وهذا كل ما فى الأمر . واليوم أصبح  
هذا القانون فى جانبك . فقد تصادف  
أن ابنتك استولت على قلب هذا  
الهرم الذى سيسلم لها بكل ما تريد فى  
سبيل أن يقضى معها الأيام القليلة  
الباقية له بين الأحياء . وهذا الموقف  
فى مصلحتك ، والأوراق الراجعة بين  
يديك ، فاستفيدى منها . وأنا لست  
فى حاجة يا سيدتى ، إلى أن أؤكد  
بأننا ، معاشر الموظفين العموميين ،  
لا نعرف الأقوى أو الأضعف ، وأن  
الحياة التام هو واجبتنا الذى لا نحدد  
عنه قيد شعرة . ومع ذلك فإنه إذا كان  
تسييه عميل ، فإننى لا أعتبر نفسى  
مذنبا إذا ما ضمنت لابنتك جميع  
المزايا التى فى وسعها أن تحصل عليها .  
[ عائدآ إلى مارى ] لقد سمعت  
يا آنستى ما قلته لوالدتك . ولك أن  
توجهى إلى من الأسئلة ما تشائين ،  
ولكن يجب أن نتناول أهمها شأنآ فى



حقيقة الأمر ، وهو السؤال الخاص

بالتقود . فهيا ، إني مصغ لـ إليك .

: كلا ، تكلم أنت .

مارى

: إني هنا من أجل أن أسمعك ، ومن

بوردون

أجل أن أنصحك .

: إنه ليسق على أن أدقق الكلام فى هذه

مارى

المسألة .

: [مبتسما] ليكن ! أتريدين أن تعرفى

بوردون

مقدار ثروة تسييه بالمليم ؟

: كلا ، إني أراها كافية دون أن

مارى

أعرف مقدارها .

: أنت على حق . إن تسييه غنى ، غنى

بوردون

جداً ، أغنى مما يدعى ، هذا المنافق —

هيا إذن يا آنسة ، إني فى انتظار

ما تطلبين .

: ألم يحدثك السيد تسييه عن نواياه ؟

مارى

: بلى ، ولكنى أريد أن أعرف نواياك

بوردون

أنت الأخرى . إذ أنه مما يمتعنا دائماً

أن نرى الأطراف المعنية تتصارع .

: لا تزدين حيرة على حيرتى . إذا كان

مارى

لهذا الزواج أن يتم ، فلنى أفضل أن

بوردون

أترك حظى فيه يبدى المقادير على أن  
أحيطه بالشروط .

: [ما زال مبتسماً] حقاً ! [ما رأى تمن  
فيه النظر] . أنا لا أشك في ترفلك  
يا آنسة ، فإن من واجبنا أن نصدق  
ذلك فيمن يعاملوننا إذا أرادوا إقناعنا  
به . ولكن تسييه يشك في أنك  
تزوجينه لسواد عينيه . ولذلك أظهر  
استعداده لأن يمنحك مهراً . غير أنى  
أسارع فأخبرك بأن هذا المهر لا يكفى  
فإنك في الواقع ، تقومين بعقد  
صفقة ، أو — إذا كانت هذه العبارة  
تجرح إحساسك — إنك تقومين  
بمضاربة يجب أن توثى ثمارها ،  
ولذلك كان من العدل أن يرضى  
تسييه بأن يشركك في أملاكه إذا  
ما قبلت زواجه ، وهذا هو ما سيتم  
بالفعل . ومعنى ذلك أن نصف ثروته  
سيثول إليك بعد موته دون تراجع أو  
طعن ممكن . وفي هذه الحال لا يبقى  
أمامك إلا أن تتمنى من الله ألا يطول  
انتظارك .

[ يعود إلى الالتفات إلى مدام فنيرون ]  
أسمعت يا سيدتي ، ما قلته لابنتك ؟

مدام فنيرون

: سمعت .

بوردون

: ما رأيك ؟

مدام فنيرون

: إذا أردت أن تعرف رأيي ، يا سيد

بوردون ، فلن أعتقد أنه كان يليق

بك أن تحتفظ لابنتي بثروة والدها ،

بدلاً من أن تعدها بثروة السيد تسييه .

بوردون

: إنك لا تريدان الخروج من هذه

الدائرة ، يا سيدتي [ يعود إلى ماري ]

والآن يا آنستي ، ها أنت ذى علم

بالمنافع الهائلة التي ستهبط عليك بعد

زمن وجيز جداً ، وهأنذا أفتش عما

يمكن أن تعترضى به ، فلا أجد شيئاً .

أيمكن أن يكون لديك بعض اعتراضات

عاطفية ؟ الواقع أني أكلم فتاة عاقلة

حسنة التربية يخلو رأسها من الخزعبلات

ويجب أن تعلمي أن الحب شيء لا

وجود له ، فأنا شخصياً ، لم أره

في أى مكان . وأعتقد أنه لا يوجد

في هذا العالم إلا مصالح ، وليس

الزواج إلا إحدى هذه المصالح .  
وتلك المصلحة التي تلوح لك اليوم  
لا يمكن أن تتكرر مرة أخرى .

مارى : هل تكلم السيد تسييه ، فى المحادثات

التي جرت بينك وبينه ، عن أسرتى ؟

بوردون : عن أسرتك ؟ كلا . [ بصوت خافت ]

أهى تطلب شيئاً ؟

مارى : يجب أن يعلم السيد تسييه أنى لا أقبل

الانفصال عنها .

بوردون : لماذا يفصلك عنها ، إن أختيك

فتاتان ساحرتان ، والسيدة والدتك

غاية فى اللطف . هذا إلى أنه من

مصلحة تسييه نفسه ألا يترك زوجة

شابة مثلك دون صحبة ، إذ

لا بد أن تصادفها لحظات فراغ

كثيرة . والآن أعدى نفسك

يا آنسة ، لما بقى لى أن أفضى إليك :

إن تسييه قد جاء معى حتى هنا ، وهو

الآن فى أسفل المنزل ينتظر جوابك

الذى يجب أن يكون نهائياً ، فلا

تعرضى مستقبلك للضياع بالتأجيل .



وإذن ، فأنا أنتظر منك إما نعم  
وإما لا .

[صت]

مدام فنيرون

: كفى يا سيد بوردون . لقد سمحت

لك بأن تحدث ابنتي عن المقترحات

المعروضة عليها ، فإذا كانت ستقبلها ،

فهذا شأنها ، ولكنى لا أريد أن يصدر

منها ذلك تحت ضغط المفاجأة أو في

لحظة ضعف أو انفعال . هذا إلى أنه

يجب أن تعرف أنى أحتفظ لنفسى بحق

الاختلاء بها لحظة لكى أفضى إليها

ببعض الأمور التى لا يليق التصريح

بها فى حضورك ، والتى يجوز للأمم

وحدها ، لا ، بل يجب عليها أن

تحيط بها علم ابنتها فى بعض الحالات .

ولست أخفى عليك أنه إذا كان لى

ابنة فى سن العشرين موفورة العافية

كبيرة القلب ، فليس ذلك من أجل

أن أهيا لرجل هرم .

بوردون

: إلى من تهيئها إذن ؟ إن من يسمع

كلامك يا سيدتى ، يظن أن جيوبك

ملأى بالعرسان ، وأن بناتك ليس  
أمامهن إلا مشكلة الاختيار . لماذا  
إذن فشل زواج إحداهن بعد أن كان  
في حكم المنتهى ؟ لعدم وجود النقود  
بطبيعة الحال . ذلك أن انعدام النقود  
يقضى على الفتيات بأن يبقين فتيات  
طول حياتهن .

مدام فنيرون

: أنت مخطف يا سيدى ، فلمى لم أكن  
أملك شيئاً ، وكذلك كانت الحال  
بالنسبة لزوجى ، ولكنه بالرغم من  
ذلك تزوجنى ، وقد عشنا معاً في  
غاية السعادة .

بوردون

: نعم ، لقد أنجبنا أربعة أطفال . ولكن  
لو أن زوجك لم يزل حياً يا سيدتى ،  
لكانت هذه أول مرة يختلف فيها  
معلك . فقد كان ينظر بارتياح إلى  
مستقبل بناته ، ذلك المستقبل المحفوف  
بالمخاطر والصعوبات بالرغم من كل  
ما تقولين ، ولا شك أنه كان سينظر  
بعين الرضا إلى طلب السيد تسييه الذى  
لعله لم يبلغ درجة الكمال ، ولكنه أكثر

من مقبول وفيه ضمان للحاضر ،  
 [ ينظر إلى ماري ] والازدهار التام  
 للمستقبل . أنا أعرف بالطبع أنه من  
 اليسير على أى شخص أن يدلى  
 بالتصريحات على لسان الموتى ، ولكن  
 والد الآنسة كان يجمع بين القلب  
 الرحيم الذى تتمتعين بمثله وبين التجارب  
 التى تنقصك . كان يعرف الحياة حق  
 المعرفة ويعرف أنه لا يوجد شيء فى  
 هذا العالم دون ثمن . ولو كان هنا  
 لكنت هذه هى فكرته بنصها وفصها .  
 لقد عشت من أجل أسرتى ، ومت من  
 أجلها ، فيمكن لابنتى أن تضحي  
 أيضاً من أجلها ببضع سنين .

ماري : [ والدسرع فيمينيا ] قل للسيد تسييه إننى  
 قبلت .

بوردون : أحسنت يا آنسة ، فقد كبدت نفسى  
 المشاق من أجل مصلحتك . هذا هو  
 عقدك . كنت قد جهزته مقدماً دون  
 أن أتيقن مما إذا كنت سأنقضى عليه  
 أجر تعبي . اقرئيه على مهل . والآن

لا يبقى إلا أن يوقع عليه تسييه ، وعلى  
أنا هذه المهمة . فقد كنت موثق  
عقود والدك ، وأطمع أن أكون  
موثق عقودك أنت أيضاً . وهأنذا  
أذهب لإحضار تسييه .

### المنظر السابع

الأشخاص أنفسهم ، ما عدا بوردون

: قبليني ، ولا تقولى شيئاً . لا تسليبنى  
شجاعتي ، فليس لدى منها أكثر من  
القدر الكافى . ولا شك أن السيد  
بوردون على حق . كما ترى ، فهذا  
الزواج هو وسيلتنا الوحيدة للنجاة .  
لنى أشعر بالعار ، بالعار الشديد  
لقبولى إياه ، ولكنى كنت أصبح  
آثمة لو لم أقبله . فهل من الممكن ،  
يا أمى الطيبة ، أن تعودى إلى حياة  
البؤس والحرمان وأنت فى هذه السن ؟  
نعم ، لنى أعرف مقدار شجاعتك وقوة

مارى



تحمملك ، ولكن بلانش تلك الطفلة  
المسكينة ، من منا يجرؤ على أن يطلب  
إليها التذرع بالشجاعة ؟ وماذا يكون  
موقفى فيما بعد أمام ضميرى ، إذا  
تطلبت صحتها بعض العلاج ، ولم  
نستطع أن نوفره لها ؟ وجوديت آه !  
جوديت ، إني أفكر فيها هي  
الأخرى . فمن يدرى ما يمكن أن يحل  
بهذه الفتاة التى هى خير الفتيات  
وأشرفهن ، إذا ما ركبت رأسها  
وأصبح المجهول لا يخيفها ؟ إني أشعر  
بأن حملاً ثقيلاً قد انزاح عن كاهلى  
منذ أن بُت فى أمر هذا الزواج .  
وبعد ذلك ليكن ما قدر له أن يكون ،  
ليكن زواجاً ذمياً ، نفعياً بل أليماً ،  
ولكننى أفضل هذا القدر الذى أعرفه  
من العار والحزن ، على تلك الضروب  
المتنوعة من القلق التى قد تنتهى  
بكارثة . جففى دموع عينيك  
يا أمى ، حتى لا يرى أحد أننا كنا  
نبكى .

[يدخل بوردون ومن ورائه تسييه . تسييه  
يتقدم مندفعاً نحو ماري ، بوردون يستوقفه  
ويشير إليه بأن يبدأ بتحية مدام فنيرون]

## المنظر الثامن

مدام فنيرون ، ماري ، بوردون ، تسييه

تسييه : أنا خادمك يا سيدتي ، [ يذهب إلى ماري ]  
أصبح يا آنسة ، ما أخبرني به  
الآن بوردون من أنك تقبلين أن  
تصبحي زوجتي ؟

ماري : هذا صحيح .

تسييه : أهذا قرار قاطع ، أم أنك قد تغيرين

رأيتك من هنا حتى الغد ؟ [ تمالئ به ،

يقبلها على وجنتها ] لا تخجلي . فعلى هذا

النحو تتم الموافقة على الزواج في

قرينتنا . يقبل الخطيب خطيبته على

خدها الأيمن أولاً ، ويقول : هذه

من أجل السيد العمدة ، ثم يقبلها على

خدها الأيسر قائلاً : وهذه من أجل

السيد القسيس . [ ماري تبسم ، يذهب

إلى مدام فنيرون ] إذا سمحت

يا سيدتى ، فلاننا سنبدأ بالإعلان  
 عن الزواج فى الكنيسة منذ الغد .  
 وسيجهز لنا بوردون قصاصة  
 عقد ، أليس كذلك يا بوردون ؟  
 [ بوردون يجب بإشارة لها منهاها ] وبعد  
 ثلاثة أسابيع سترين ثانية بناتك تدعى  
 مدام تسييه .  
 [ فترة صمت ]

## المظهر التاسع

الأشخاص أنفسهم ، ثم روزالى

مدام فنيرون : ماذا هنالك ، يا روزالى ؟  
 روزالى : هل تفضلين باستقبال السيد دوبوى  
 يا سيدتى ؟  
 مدام فنيرون : السيد دوبوى ؟ تاجر البسط الذى يقيم  
 فى ميدان الفوج ؟  
 روزالى : نعم ، يا سيدتى .  
 مدام فنيرون : لأى غرض ، جاء اليوم لزيارتنا  
 يا ترى ؟  
 روزالى : إنك تدينين له ببعض النقود

يا سيدتى ، على حد قوله على الأقل .

هذا غراب آخر ، لا شك فى ذلك .

مدام فنبيرون : إننا لا ندين بشيء للسيد دوبوى ،

بأى شيء . أخبريه بأنى لن أستقبله .

تسييه : بلى ، يا سيدتى ، بلى ، يجب استقبال

السيد دوبوى . فهو إما أن يكون على

حق ، رغم كل ما تظنين ، وأبسط

الطرق فى هذه الحال أن يعطى حقه ،

ولما أن يكون مخطئاً ، وحينئذ لا ضرر

فى أن نبين له وجه خطئه . أنتن الآن

لستن وحدكن . بل ممكن الآن

رجل . أدخلى السيد دوبوى .

والآنسة مارى هى التى ستستقبله .

لأنها ستصبح ربة بيت عن قريب ،

وأريد أن أعرف كيف تتصرف .

تعال معى يا بوردون . لترك ابنك

مع السيد دوبوى ، يا سيدتى .

[مدام فنبيرون وبوردون يدخلان من الباب

الأيسر ، مارى قبل أن يتبعها ] إلى هنا

خلف الباب ، وسأناصت إلى كل

كلمة فقال .



## المنظر العاشر

مارى ، دوبوى ، ثم تسييه

- دوبوى : صباح الخير ، يا آنسى العزيرة .  
 مارى : أحبيك ، يا سيد دوبوى .  
 دوبوى : كيف حال والدتك ؟  
 مارى : لا بأس ، أشكرك .  
 دوبوى : وأختك ، أهما فى صحة جيدة ؟  
 مارى : فى صحة جيدة .  
 دوبوى : أما أنت فلست أسألك عن حالك ،  
 فلان وجنتيك متوردتان كوجنتى الطفل  
 ساعة ميلاده .  
 مارى : كلفتنى والدتى ، يا سيد دوبوى ،  
 أن أستقبلك بدلا منها ، فأخبرنى فوراً  
 عن الهدف من مجيئك .  
 دوبوى : إنك بطبيعة الحال لا تجهلين سبب  
 مجيئى .  
 مارى : أوكد لك أنى لا أعرف عنه شيئاً .  
 دوبوى : حقاً ألم تسألنى نفسك وتقولين :  
 إذا كان السيد دوبوى قد جاء لرؤيتنا

بعد كل هذا الوقت الطويل ، فذلك  
لأنه في حاجة إلى نقوده ؟

: وضع كلامك أكثر من ذلك .

مارى

: أوكد لك ، يا آنسى ، أنى كنت

دوبوى

أتمنى من كل قلبى ألا أضطر لهذه

الزيارة فحينما علمت بموت والدك

قلت لزوجتى : أعتقد أن السيد

فنيرون لا يزال يدين لنا ببعض

النقود ، ولكن لا بأس ، إننا لن نموت

جوعاً إذا أضفنا هذا المبلغ إلى حساب

الأرباح والخسائر . والحقيقة أن هذه

هى طريقتي مع عملائي المحترمين ،

وقد كان السيد فنيرون واحداً منهم ،

فلم يحدث قط أن قامت بيننا صعوبة

ما ، وهكذا يجب أن تكون المعاملة بين

الناس الشرفاء . ولكن من سوء الحظ

أن أمور التجارة لا تثبت على حال ،

فقد تكون اليوم فى حالة مرضية ثم

تصبح غداً فى أسوأ حال ، وهى فى

هذه الفترة متعثرة الخطى . وفى

وسعك أن تفهمى ما أريد .

: يبدو لى ، يا سيد دوبوى ، أن والدى

مارى

كان قد صفى حسابه معك .

: لا تقولى ذلك ، إنك تؤلمينى .

دوبوى

: ولكنى واثقة بكل الثقة أن والدى كان

مارى

قد صفى حسابه مع محلك .

: خذى حذرک . إنك ستغضبينى .

دوبوى

والمسألة كلها لا تتعدى ألفى فرنك ،

وهو مبلغ ضئيل . فإذا كنتين الآن فى

حالة عسر ، فانى لم أجد لكى أضع

السكين على رقابكن ، بلى يكفى أن

تكتب لى مدام فنيرون إيصالا بألفى

فرنك قابلا للسداد بعد ثلاثة أشهر ،

لأنى أعتبر توقيعها نقوداً حقيقية .

: سأخبر والدتى بأنك جئت تطالها .

مارى

بألفى فرنك ، ولكنى أكرر لك أن

فى الأمر خطأ من جهتك ، لأنى

متأكدة من أننا لا ندين لك بشئ .

: إذن ، يا آيسة ، لن أخرج من هنا إلا

دوبوى

ومعى هذه النقود . فقد تقدمت إليك

بكل أدب وقبعتى فى يدى .

[ يضع قبعة على رأسه ] . ولكن يبدو

أنك تهمينى بالصوصية ، وهذه

الطرق لا تنجح معى مطلقاً . هيا

البحى عن والدتك ، وعليها أن تسلمنى  
الألفين من الفرنكات . . . أو إيصالا  
بها . . . فإنى لا زلت على استعداد  
لأخذ إيصال . . . وإلا فإن السيد  
دوبوى سينثور ، وسيزلزل أركان  
هذا البيت .

[تسييه يدخل . . . تبدو الدهشة والخوف على  
دوبوى لدى دخوله ، وزراه يرفع قبعته ] .

: دع قبعتك على رأسك . الأعمال  
التجارية لا شأن لها بهذه الطقوس  
والرسميات . أمعلك قائمة الحساب ؟  
: بالتأكيد ، يا سيدى ، لأنها معى .

تسييه

دوبوى

تسييه

دوبوى

: هل توافقين ، يا آنسى ، على أن  
أضع قائمة حسابى فى يد هذا السيد ؟  
: افعل ما يقوله لك السيد .

مارى

تسييه

: [ يقرأ القائمة ] « تسلمت من السيدة  
أرملة فينيرون مبلغ ألفين من  
الفرنكات قيمة ما كان متبقياً عليها  
من الدين الذى اتفقنا معاً على حساب  
قيمته » . ما هذا النوع الغريب من



القوائم ؟ أليس من عادتك أن تكتب  
مبيعاتك بالتفصيل ؟

دوبوى : إننا لا نستطيع ، يا سيدى ، أن نعيد  
تحرير القائمة الواحدة خمس مرات  
أو ست . فقد كانت القائمة الأولى  
التي بعثت بها إلى السيد فنيرون تحتوى  
جميع التفاصيل الضرورية .

تسييه : حسن جداً . سأدفع لك هذا المبلغ .  
وسأقوم بالمراجعة بمجرد رجوعى إلى  
محلّى .

دوبوى : راجع ، يا سيدى ، راجع ، لا بد  
أن يكون السيد فنيرون قد ترك  
أوراقه مستوفية .

تسييه : نعم ، مستوفية جداً . [ يقرب القائمة من  
عينه ] دوبوى ، أليس كذلك ؟  
أهذا هو توقيعك ؟ أنت السيد  
دوبوى شخصياً ؟

دوبوى : نعم ، يا سيدى .  
تسييه : سأعطيك مبلغ الألفين من الفرنكات  
الذى تطلبه .

دوبوى : راجع ، يا سيدى ، ما دام ذلك فى

إمكانك . وسأصبر حتى تنتهى من  
المراجعة .

تسبييه : أنت متأكد من أن السيد فنيرون كان  
لا يزال يدين لك بألفين من الفرنكات  
لدى وفاته ؟

دوبوى : نعم ، يا سيدى . . . نعم ، يا سيدى ،  
اللهم إلا أن تكون زوجتى قد أخطأت  
فى الحساب ، ولكنى لا أظن ذلك .

تسبييه : ليس لزوجتك أى شأن بهذه المسألة .  
فأنت الذى ستعاقب إذا قبضت المبلغ  
نفسه مرتين .

دوبوى : لم أكن لأطالب به ، يا سيدى ، إذا لم  
يكن حقاً لى . لانى رجل شريف .

تسبييه : [ يمد له يده بالنقود ] هذا هو مبلغك .

دوبوى : كلا . راجع أولاً . لانى أفضل ذلك .

تسبييه : ارجع إلى بيتك ، أيها الغلام ، وإياك  
أن أرى وجهك هنا مرة أخرى .  
أسمعنى ؟

دوبوى : ما هذا الذى تقوله ، أيها السيد ؟

تسبييه : أقول لك أن ترجع إلى بيتك . ولا تكن  
وقحاً ، وإلا ندمت على ذلك .

دوبوى

: أعد إلى قائمة حسابي على الأقل .

تسييه

: حاذر أن تتسلمها من بين يدي قاضي التحقيق .

دوبوى

: آه ! لم يكن يتقضنا إلا هذا ! سيد

لا أعرفه ويجرؤ على أن يكلمني بهذه

اللهجة في مواجهتي . سأذهب

يا آنسة ، ولكنك ستسمعن أخباري

بعد قليل .

تسييه

[ يخرج وهو يضع قبضته على رأسه ]

: إنكن ، منذ وفاة والدكن ، يا بنيتي ،

محاطات بطائفة من اللصوص والمحتالين

هيا نعد إلى أسرتك .

تمت

## روائع المسرح العالمى :

سلسلة مسرحيات عالمية

تصدر يوم ٤ من كل شهر

صدر منها :

١ - الشقيقات الثلاث

٢ - أعمدة المجتمع

٣ - سيرانودى برجرارك

٤ - مروحة ليدى وندرمير

٥ - بينيلوى

٦ - الغربان

تأليف : أنطون تشيكوف  
ترجمة : الدكتور على الزاوى

تأليف : هنريك إبسن  
ترجمة : عزيز سليمان

تأليف : آدمون رويستان  
ترجمة : عباس حافظ

تأليف : أوسكار وايلد  
ترجمة : عباس يونس

تأليف : سومرست موم  
ترجمة : مفيد الشوباشى

تأليف : هنرى بك  
ترجمة : الدكتور محمد القصاص

تصدرها : وزارة الثقافة والإرشاد القومى

الإدارة العامة للثقافة

الناشر : الشركة التعاونية للطباعة والنشر

١٤ شارع عماد الدين ت ١٣٠٣ - القاهرة

طبعة كورنا نسوراس وشركاه

٥ شارع نصف الميرمطى بالقاهرة نابهن ٤١١١٨

الطبع ١٣٠٣ طابع مبدل نابهن ٥٧١٣٩